
غرباء

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: غرباء

اسم المؤلف: علي نجم

التدقيق اللغوي: د.ياسر عوض

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٠٠٢٢ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٢٩٣-٠-٩

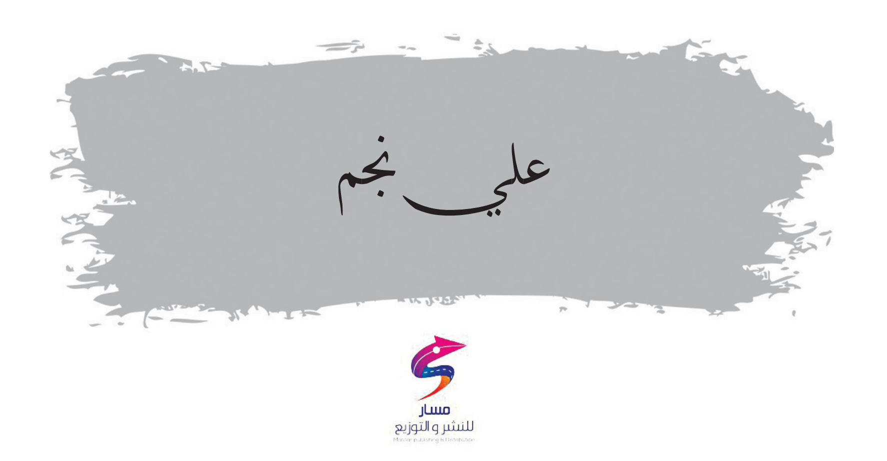


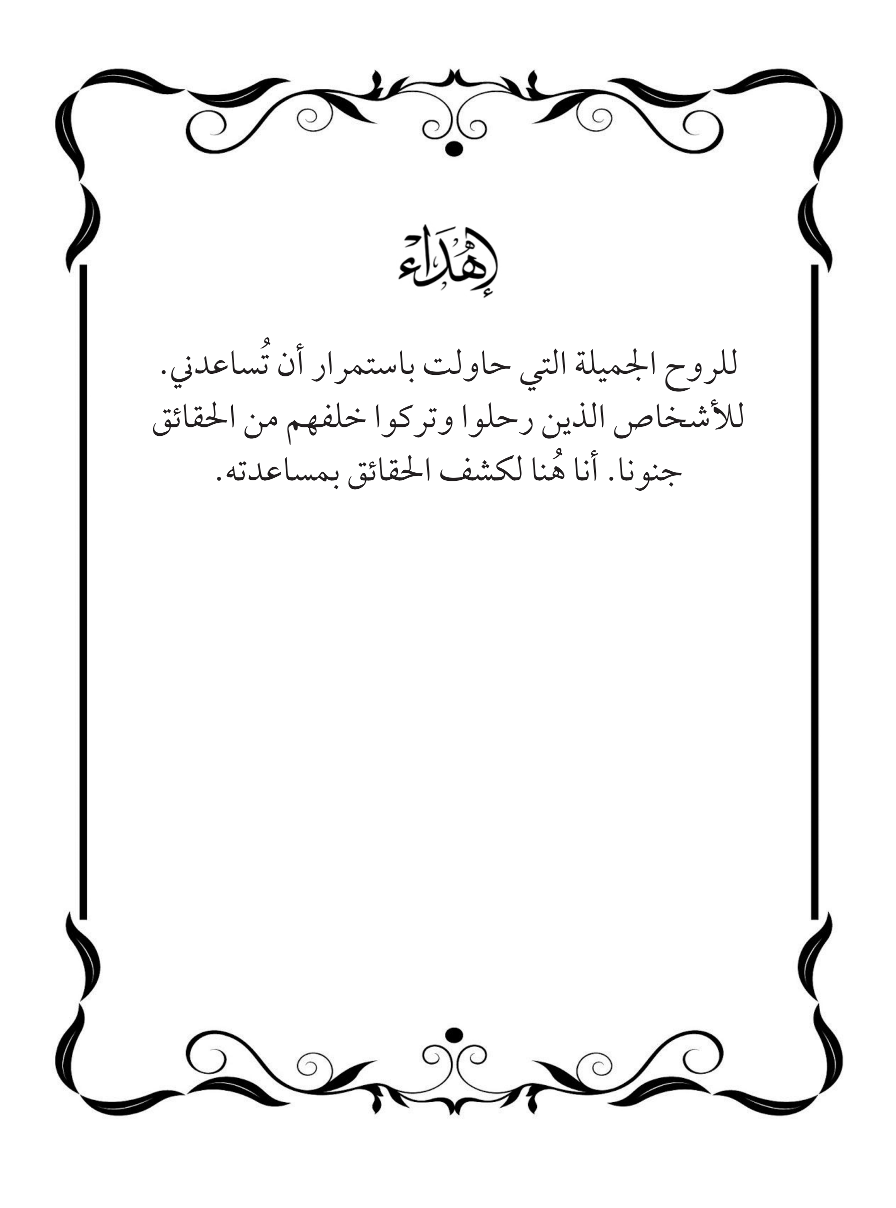
 ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية

 01020439639

 massar.pub1@gmail.com

غرباء





إهداء

للروح الجميلة التي حاولت باستمرار أن تُساعدني.
للأشخاص الذين رحلوا وتركوا خلفهم من الحقائق جنونا. أنا هُنا لكشف الحقائق بمساعدته.

١
"أحلام"

رأيتُ شابًا صغيرًا يقف أمام باب لونه أبيض وينظر له بتمعُن شديد وأنا لا أدري لماذا،استمر ذلك المشهد لعدة دقائق ثُم نظر باتجاهي وابتسم وقال:

- إزّيّك، أنا كنت مستنيك من زمان.

- أنت مين؟ وإيه اللي ورا الباب ده؟

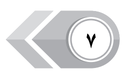
- أنا جاي أساعدك، والباب ده وراه حكايات كتير مش وقته إنك تعرفها دلوقتي.

- أنا مش فاهم حاجة!

- الساعة ستة يا يوسف لازم تصحى دلوقتي.

ثُم اختفى كل شيء وإذ فجأةً أستيقظ على صوت المُنبه الخاص بهاتفي، إنها السادسة صباحًا. استيقظتُ في شرود وقلق بعض الشيء، كالعادة وبطبعي أنا شخص فضولي جدًا وهذه تُعدّ من أسوأ الصفات فيّ على الإطلاق.

سأفكر لاحقًا يجب أن أستعد للعمل، فأنا أعمل صحفيًا لإحدى



الصحف المشهورة في القاهرة والتي تُسمى "الحقيقة"، ولكنّ الغريب بعض الشيء أنني المسؤول عن كتابة المقالات الخاصة بالجرائم وكل الأحداث الغريبة تلك التي تحدُث، ولكنها قليلة نوعًا ما هذه الايام، قليلة ليست بالمعنى الحرفي ولكني أعني قليلة بمعنى أنها عادية وكل الصُحف الأخرى تتحدث عنها، فقط لا يوجد شيء مُميز للحديث عنه.

استعددتُ سريعًا حتى إنني لم أتناول فطوري سأتناوله في الجريدة عندما أصل لهُناك، في الطريق لفت انتباهي موقف غريب حقًا، رأيتُ طفلًا صغيرًا ملامحهُ غير واضحة وكأنّ عليها ضبابا نوعًا ما، ولكن هيئته تُبين أنه بعُمر الرابعة أو الخامسة تقريبًا، وكان يُشير لي بأصبعه ويبتسم لي، فلوحت له ضاحكًا ولكنه اختفى حرفيًا وكأنه لم يكُن موجودًا حتى، حسنًا هذا ثاني موقف غريب لا تفسير له حتى الآن.

وصلتُ العمل وأخيرًا وأنا أفكر في تلك الأحداث الغريبة التي حدثت هذا الصباح ولحسن حظي استقبلني صديقي "محمود"؛ إنه المسؤول عن أخبار الفنانين في الجريدة فقال لي:

- كالعادة جاي مِسهّم ومش مركز، مالك المرة دي بقى؟

- محمود، والله أنا مش ناقص سخافتك اللي عالصبح دي، أنا بيحصلي حاجات غريبة من أول ما صحيت من النوم والله وملهاش تفسير.

- ههههه، طبيعي واحد طول حياته في مكتبه مبيعملش حاجة غير إنه يكتب عن ناس بتتقتل وناس بتتخطف وحاجات زي دي عاوز تكون

عامل إزاي يعني؟

– خلينا نتقابل بعد الشغل طيب أحكيلك كل حاجة، خلي عم عبده يحضرلي القهوة ويبعتهالي عالمكتب بتاعي.

– تمام يا أفندم.

دخلت المكتب وفتحت الحاسوب لأرى ما المقال الجديد الذي سأكتب عنه اليوم، لِمَ لا أكتب عن الأحداث الغريبة التي حدثت لي بدلًا عن الروتين المُمَلّ الخاص بكل يوم والأحداث المُتكررة التي لا داعي لها على الإطلاق؟ ولكن هل سيهتم أحد؟

لا أعلم ولكنني أغرق في التفكير مُجددًا وكلِ يوم، يكفي أحداث الأسابيع الماضية؛ حيث وفاة والدتي التي لم أتعافَ حتى الآن من هذا الأمر، فأنا أشتاقُ لها دائمًا، وكل يوم لا أتخيل حياتي بدونها، ولكنها ستبدو مليئة بالمشاكل اللانهائية، هففففف!! لا أعلم ماذا يتوجب عليّ أن أفعل الآن؟

تفاجآت بعم عبده داخل المكتب وهو يقول لي:

– أستاذ يوسف، حضرتك كويس؟

– اااا، أنا آسف والله ما أخدتش بالي يا عم عبده إنك واقف معلش حقك عليا.

– ولا آسف ولا حاجة، أنا جيت أجبلك القهوة اللي حضرتك طلبتها.

- ربنا يخليك والله يا راجل يا طيب.

- تؤمر بحاجة تانية؟

- كتر خيرك أوي مُتشكر.

الآن سأضع كل شيء جانبًا وأركز على كتابة مقال عن الخبر الخاص بأمس؛ وهو مقتل شخص على يد صديقه؛ نظرًا للخلاف. يا الله على ما أصبحنا عليه!! هذا أصبح مُعتادا وغريبا في نفس الوقت، لم أعد أتحمل كلَّ هذا بعد الآن، وسرعان ما يهجم المدير على المكتب بطريقة وحشية ويصرخ:

- يووووسفف، بسرعة تنزل تروح مستشفى "السلام" تغطيلي الخبر اللي هناك بسرعة

- في إيه في إيه؟

- معرفش، بيقولوا واحد شنق نفسه، روح شوف في إيه بيحصل وتكتبلي مقال حلو محترم.

- حاضر طيب حاضر.

سرعان ما حملتُ أغراضي وركبتُ سيارتي التي أتركها عادةً تحت الجريدة وتوجهت للمستشفى، وبالفعل هُناك الكثير من الناس والصحفيين الذين كل همهم أن يحصلوا على معلومات وحسب؛ لينشروها بطريقة سخيفة، ولكنني كعادتي فضولي وأحبُ البحث عن المُسببات.

اقتربتُ قليلًا، وبعد الكثير من الوقت والجهد رأيتُ الجثة مُعلقة أمامي فشعرتُ بألم شديد جدًا في رأسي لم أستطع تحمله أبدًا، ولكن بعد ذلك اتضح أن الضحية شنق نفسه عمدًا من خلال حبل كان يحتفظ به دائمًا تحت سريره، ولكني لا أعلم كيف لم ينتبه الطاقم لذلك؟! أو من المُمكن أن يكون أحد الأشخاص أعطاه ذلك الحبل عند زيارته.

جمعت المعلومات اللازمة ونشرت المقال ولكن أُثير فضولي حول الأمر بشكل كبير لذلك قررتُ أن أذهب مجددًا غدًا للبحث بشكل أعمق حول الموضوع.

والآن الساعة الخامسة وقد قمتُ بدعوة محمود لنتناول الغذاء سويًا؛ تعويضًا عن الفطور الذي لم يحدث لانشغالي، دق جرس الباب ودخل محمود وكالعادة قال ساخرًا:

- المُحقق بتاعنا أخباره إيه؟ وأخبار الجريمة بتاعة النهارده إيه؟ المقال بتاعك كسر الدنيا، كل ده لحقت تجمّعه في كام ساعة بس؟!

- حيلك حيلك في إيه يا عم محمود؟! داخل سخن ليه؟ ده ولا حاجة والله، لِسّه هروح بكرة أتكلم مع الدكتور والممرضين كلهم.

- يا حبيبي كفاية، إيه لزمته كل ده؟ شيل الفضول اللي جواك ده، هتروح في داهية في يوم بسبب كده.

- بالله عليك اسكت، أنا مش جايبك عشان كده أصلًا، وبعدين جبت أكل ليه؟ كنت بحضر الحاجة عشان أطبخ أنا.

– آه اللي هو لو استنيتك هيبقى سحور مش غداء كفاية الفطار.

– طب يلا هات الأكل ده أحطه ونتكلم واحنا بناكل.

وضعتُ الطعام على الطاولة وجلسنا ولكنني ظللتُ شاردًا أغلب الوقت ولم أتلفظ بكلمة واحدة؛ حتى غضب محمود جدًا مني وقام بخبط الطاولة بقوة وقال بِحدة:

– لو جايبني هنا عشان تفضل ساكت فأنا آخد بعضي وأمشي أحسن.

– إيه؟ آه، آسف والله بجد، بس أنا متضايق أوي.

– اتفضل قُلّي في إيه؟

وبعدما سردتُ له هذه القصة السخيفة ورؤية ذلك الشاب والطفل الصغير تعجب جدًا، وهذه ليست طبيعة محمود أبدًا، في العادة يسخر من كلامي ولكن هذه أول مرة أراه متوترًا بهذا الشكل فقلتُ له:

– مالك؟ سكتّ ليه فجأة يعني مش عوايدك؟ فسّر لي الحلم بقى أو قُلّي وجهة نظرك.

– لأ عادي، بس كلامك غريب شوية، بس دي مُمكن هلاوس أو أصلا الأحلام عادة بتكون هواجس كده أو وسواس، وأنت طبعًا فاهم كلامي.

فعقبتُ سريعًا على كلامه وقلتُ:

– ليه ماتكونش رؤية؟ أو حد عاوز يقُلّي حاجة؟

– طب نُحط موضوع الطفل ده على جنب؛ لأن ده هبل، الولد ده أنت فاكر شكله؟ تعرفه حتى؟

– هو ماكانش باين أوي بصراحة فأنا معرفش حقيقي.

– بقولك إيه، الحل إنك تتجوز بقى، عشان أنت كده هتروح مستشفى المجانين.

– رِجعت تهزر تاني، وبعدين أما تتجوز أنت الأول يا عم.

تغاضيتُ عن الأمر للآن، وقضينا الوقت في التحدث عن أشياء عِدة، عن أمور مختلفة فقط حتى لا ينزعج مني، بالأخير محمود صديقي مَنذُ الطفولة وأنا يعزّ عليّ أن أحزنه فهو قد عانى معي جدًا حتى يجعلني سعيدًا في أصعب أوقاتي؛ بالأخص عند وفاة والدتي، يا ليت الدُنيا كلها محمود، ولكن بالطبع مُستحيل على أرض الواقع إلا فئة قليلة جدًا.

بعد أن انتهينا أراد محمود أن يُغادر فقال:

– ماشي، أستأذن بقى وأهو أسيبك ترتاح شوية من أحداث اليوم التحفة ده.

– آه والله لأني بقالي كتير مابنمش كويس.

– أعانك الله يا صديقي.

– يا رب يا محمود.

فنظر في ساعته فعقب:

- يااه!! الوقت جِرِي أوي؛ الساعة بقت ٩.

- آه من كتر الرغي بتاعك!! روح يلا على بيتك، تلاقيك وراك مقال عن "تايلور سويفت" ولا حاجة.

- كويس، بقيت أنت اللي تهزر أهو!

غادر محمود وأنا عدتُ كما كنتُ في السابق؛ شاحب الوجه حزينا مُجددًا أُفكر في كل شيء، ولكني توجهت للمطبخ وتناولت دواء يعمل كمُهدئ للأعصاب يُساعدني على الاسترخاء والنوم، وبدونه - حرفيًا - لن أحظى بنوم هادئ ومُريح من شدة التفكير، وغدًا يوم مليء بالأحداث الشيقة، لذلك يجب أن أحظى بقدر كافٍ من النوم، وفي وقت قليل غصتُ في نوم عميق.

ولكن ما هذا؟ أين أنا الآن؟ فصل؟ وجسد مَن هذا؟ قُمت بالالتفات ووجدت نفسي وسط طُلاب وفي فصل، ففكرتُ بصوت مسموع وقلتُ:

- أنا مين؟

فنظر لي الفتى الذي بجانبي وقال:

- مالك يا ياسين في إيه؟ متضايقش نفسك عشانهم، هُما بس بيضايقوك عشان أنت أحسن منهم.

- يا عم ياسين مين يا عم؟! أنت غبي؟ أنا فين أنا؟ ولا إيه المدرسة دي أصلًا؟ أنتو مين يا جماعة؟!

فنظر لي الجميع نظرة تعجب وضحكوا بأعلى صوت؛ فقال المُدرس الذي كان يشرح:

- بس يا ولاد في إيه؟!! وأنت يا ياسين، مالك؟ خير بتزعق في نص الحصة كده عادي؟! وشكلك بتهزر وأنا مش متعود منك على كده خالص.

ففكرتُ لِلَحظةٍ أن أتعامل مع الموقف بطريقة عادية وكأنني فعلا ذلك المدعوّ ياسينً إلى حين أن اكتشف ماذا يحدث فقلتُ له باحترام:

- ااا، أنا آسف حضرتك، أنا تعبان شوية بس ومش مركز.

- طب اِشرب شوية ميّه من معاك واهدَى وركز في الحصة.

- حاضر.

نظر إليَّ الفتى الذي بجانبي وهمس لي قائلًا:

- أنت إيه اللي أنت عملته ده؟

- على فكرة أنا معرفكش أنت كمان والله.

- نعم؟!

- آه والله، وكلمة كمان مش هقولك هعمل إيه؛ لأني هتجنن، ماشي؟

- نتكلم بعد لما نخلص الحصة.

- حصة إيه بس؟! أنا عندي ٢٦ سنة، هو إيه اللي بيحصل ده؟

- نعم!! تاني؟ احنا في أولى ثانوي لسة.

نظرتُ له نظرةً بألف معنى، نظرة لم أنظرها لأحد طوال حياتي، أنا يوسف ووضعت يدي على رأسي ونظرتُ لأسفل، وكل ما أريد فعله الآن هو البكاء والصراخ وكل ما شابه ذلك.

وبعد انتهاء تلك الحصة السخيفة التي لَم أستفد منها أيَّ شيء على الإطلاق خرجتُ مسرعًا من ذلك الفصل لأرى أين أنا، ووقفت مذهولًا من كل شيء حولي، فجاء ذلك الفتى راكضًا ونادى عليّ وقال:

- أنت اتهبلت بقى ولا إيه؟ خارج من غير ما تاخد شنطتك ولا حاجة كده؟ أنت مالك النهارده في إيه بجد؟

- أنت اسمك إيه أول حاجة بس، ومن غير دهشة كتير عشان أنا فيا اللي مكفيني؟

- نسيت اسم صاحب عمرك في لحظة؟ أنا إسماعيل يا ياسين؛ صاحبك من ابتدائي.

٢

"فوضى"

بعد سماع كل هذا من إسماعيل تمالكت نفسي وقلتُ في هدوء:

- حلو يا إسماعيل، احنا علينا حصص تانية ولا كده خلاص؟

- لأ خلاص كده، أنا عاوز أفهم معلش كل حاجة.

- طيب طيب، أنا المفروض أروح فين ولا بيتي فين؟

- اااا، احنا بنمشي مع بعض كل مرة بعد المدرسة بوصلك.

- حلو يلا.

خرجنا من البوابة الأمامية فنظرتُ لاسم المدرسة وهنا كانت الصدمة الحقيقية فعلًا؛ كان اسم المدرسة هو "السلام" أسست عام ١٧٨٧، فقلتُ بصوت عالٍ:

- إيه ده؟ مدرسة السلام دي قفلوها بعد الحريق وخلوها مستشفى مكانها بنفس الاسم، دي نفس المستشفى اللي محمد شنق نفسه فيها!!

- أنت بتقول إيه؟ بجد؟

فأتى صوت شخص من الخلف وقال:

- صوتكو عالي ليه كده؟ المجنون ده لِسّه بيخرف بالكلام؟

فرد إسماعيل وقال:

- ودي حاجة تهمك في إيه يا عاطف؟ خليك أنت في حالك أحسن.

فتساءلتُ أنا:

- مين ده كمان يا إسماعيل؟

فاقترب مني إسماعيل وهمس وقال:

- مين إيه؟ يا ابني ده عاطف أكتر واحد هنا ما بيحبكش ولا أنت بتحبه، وعلطول بتتخانقوا مع بعض ويمكن ده واحد من الأسباب اللي خلّتك تتعب مؤخرًا.

- أتعب؟ أتعب يحصلي إيه يعني؟

- الساعة ٦ .

- الساعة ٦ إيه؟ مش فاهم!

- ......

وكما توقعت اختفى كل شيء من جديد، مرة أُخرى استيقظتُ وأوقفت المُنبه وأحضرتُ دفتر الملاحظات الخاص بي ودونت الآتي:

١. ساعة مُحددة.

٢. مَن هو ياسين؟

٣. مدرسة السلام وهل لها صلة بالضحية؟

كل هذا أريد أن أعرف إجابات له، والآن حان وقت المُتعة، سرعان ما جهزتُ أغراضي وأخذتُ دفتر ملاحظاتي معي وتوجهت للجريدة سريعًا، ولكن لم يكن هُناك وقت لفعل أي شيء، يجب أن أتوجه لمكتب المدير على الفور وأخبره أنني سأذهب لجمع المزيد عن القضية الخاصة بأمس ومعرفة تفاصيل أكثر، فتوجهتُ لمكتبه ودخلت وأخبرته في عجلة:

- أستاذ إيهاب، ممكن أستأذن شوية كده؟

- مالك متسربع ليه؟ هتروح فين؟

- هجمع معلومات أكتر عن القضية بتاعة امبارح.

- بس خلاص دي اتقفلت يعني؛ لأنها انتحار مفهاش حاجة يعني، والمقال بتاعك كان جميل أنا قرأته، عاوز تعمل إيه تاني؟

- بصراحة كده أنا حاسس إن الموضوع وراه حاجة مش معروفة، حتى أهله مظهروش خالص، وده الكل لاحظه، فأنا عاوز أتأكد من كام حاجة كده معلش.

ابتسم وقال:

- ماشي يا محقق، اتفضل ولو عرفت حاجة اتكلم عنها برضو.

- شكرًا يا أستاذ إيهاب.

خرجتُ مسرعًا من مكتب المدير"رئيس التحرير" فناداني محمود ولكنني لم أنتبه له على الإطلاق، ولكنه اعترض طريقي وقال:

- خد هنا، تيجي ومتسلمش عليا، مين واخدة عقلك بس؟

- محمووود حصل حاجات غريبة، هحكيلك عليها بعدين، عدي عليا النهارده الساعة خمسة.

- فهمت، حاجة عن الحلم ده أو أيًا كان إيه؟

- والله بص مش عارف.

- طب أنت رايح فين دلوقتي؟

- هروح المستشفى دلوقتي هعرف أهل محمد مجوش ليه.

- آجي معاك طيب؟

- أنت مش وراك شغل؟

- لا أنا استأذنت من أستاذ إيهاب عادي.

- هو طيب كده ليه النهارده؟ يلا بينا طيب؟

- يلا.

وبالطبع ركبت سيارتي المتواضعة، وفي طريقنا للمستشفى كسر محمود الصمت وقال في قلق:

- هو أنت عرفت حاجة عن الحلم أو كده؟

فَسكتُّ قليلًا وعلمتُ أن محمود يُخفي شيئًا ما عني فأجبتُ:

– محمود، أنت مالك في إيه؟ لو في حاجة قُلّي يا ريت، عشان أنت متغير من بعد ما حكيتلك.

– مفيش والله، أنا بس عاوز أطّمّن عليك، مالك مكبر الحوار ليه؟

– تمام، اِقفل الإزاز بقى عشان مش هقفلهولك.

– ماشي يا لِمض.

هل يُخفي محمود شيئا عني؟ أنا أعلم أنه يعلم شيئا أجهله أنا، ولكن لماذا يُصمم على إخفاء الأمر؟ سأحاول معرفة كل شيء منهُ لاحقًا، يجب الآن أن أركز على ما أنا آتٍ له.

دخلت المستشفى أنا ومحمود وتوجهنا لغرفة الضحية وطلبنا أن ندخل للاطّلاع على بعض الأشياء الهامة ولكنه كان وما زال مسرح جريمة، ولكني حاولت بصعوبة أن أحصل على الموافقة بحجة أنني سأُساعد الشرطة في التحقيق، حسنًا هذه ليست كذبة بل بالفعل سأُساعد الشرطة؛ فأنا لديّ معارف كثيرة في قسم الشُرطة حتى لقبوني بـــ "المحقق المهووس"، وهذا لقب جيد نوعًا ما، لذلك تم السماح لي بالدخول لمسرح الجريمة ولكن وحدي بدون محمود، ارتديتُ القفازات وبدأت بالتفتيش هُنا وهُناك، لقد حصلوا على الحبل ليتم كشف بصماته ولكني كنتُ واثقًا من إغفال الشرطة عن أمر ما، ولكن الغرفة فارغة تمامًا وعادية جدًا تحتوي على سرير ومروحة في السقف وهي التي كان

يتدلّى منها الحبل، و"كومودينو" به أدراج فارغة لا تحتوي على شيء مُثير للشكوك إطلاقًا.

قررتُ الخروج من الغرفة ولكني أشعُر بالإحباط؛ لأنني لَم أعثُر على أي دليل ولكن وأنا أسير نحو الباب شعرتُ بألم شديد في الرأس وكأن أحدًا قام بضربي بقوة، نظرتُ خلفي وتوجهت للسرير وكأن شخصًا ما يقوم بتوجيهي لفعل ذلك، فقمتُ برفع مَرْتَبَةِ السرير ووجدتُ "نوتة" صغيرة جدًا فسرعان ما وضعتها في جيبي وخرجت من الغرفة والغريب أن ذلك الألم قد اختفى.

أتى محمود مُسرعًا وقال:

- ها لقيت حاجة؟

- ها، لأ مفيش حاجة جُوّا خالص، دورت كتير وملقيتش، يلا ننزل بس قبل ما حد يجي يسألنا واقفين ليه؟

وأثناء سيرنا في الممر وجدتُ مُمرضة فأوقفتها وسألتها:

- بقول لحضرِتك معلش.

- اتفضل؟

- هو أنتو بدلتوا ملاية السرير أو نضفتوا الأوضة أو كده يعني؟

- لأ جالنا أوامر أننا منضفتش حاجة لِسّه؛ لأن البوليس ممكن يلاقي دليل أو حاجة.

- هي القضية متقفلتش؟

- لأ لِسّه حضرتك التحقيقات شغالة؛ لأن احنا مش عارفين هو جاب الحبَل منين.

- صح كويس إنك جبتي سيرة الموضوع ده، شوفتوا كاميرات المراقبة؟

- آه طبعًا، بس كانت متعطلة الوقت ده، مش عارفة ليه، ومصورتش حاجة لكن كتر خيرهم جُم يصلحوا الكاميرات واشتغلت الصبح.

- ممكن أبص على التسجيلات بتاعتها؟

- بص حضرتك، هو ممنوع بس أنا هدخلك ومتطولش يا ريت، بس حضرتك هو كان مريض سرطان يمكن يِئِس ولا حاجة وخلّى أي حد يدخله حبل وخلاص وقت الزيارة أو كِده، أنا ما كنتش مسؤولة عنه بس هُما قالوا كده يعني.

- مين كانت المُمرضة اللي مسؤولة عنه؟

- دي إبتسام حضرتك، بس الباشا سألها خلاص وهي قالت ما تعرفش، ومجتش الشغل النهارده وبنكلمها مبتردش علينا.

- تمام شكرًا أوي.

ورأيتُ تسجيلات كاميرات المراقبة ولكن قام شخصٌ ما بمسح سجلات هذا اليوم بالتحديد، أنا ومحمود كُنا في حالة تعجب من الأمر

بأكمله، لا يوجد أي شيء منطقي على الإطلاق، فخرجنا وسألت تلك المرضة عن مكان أهل الضحية "محمد" فأجابت:

- آه حضرتك، هكتب لحضرتك العنوان لحظة وتقدر تروح وتسألهم.

- طب حضرتك ما تعرفيش هُما مجوش ليه أو كده؟

- لأ بصراحة، حتى البوليس راحوا إمبارح على حد علمي بس ما كانوش موجودين.

- تمام شكرًا جدًا.

سريعًا قررتُ التوجه للعنوان لمُقابلة العائلة لعلهم يعرفون أيَّ شيء حول تلك الوفاة الغريبة. بدأت تظهر علامات القلق أكثر فأكثر على محمود وقال لي ونحنُ في السيارة:

- يوسف بقولك إيه؟

- ها.

- أنا تعبت ممكن نمشي نُروح مطعم ولّا كافيه ولّا حاجة؟

فأجبتُ بحِدة:

- لأ، مش همشي غير لما أعرف وأفهم كل حاجة.

- ماشي خلاص.

وكأنه يؤكد شكوكي حول إخفائه شيء ما عني، ولكن لا بأس

سأعرف كل ما يدور بداخله. وصلنا للعنوان المكتوب، طرقتُ الباب أكثر من مرة ولكن بدون استجابة، فقال لي محمود في قلق:

– محدش بيفتح يبقى مش موجودين، ممكن نمشي بقى؟

– أنت مالك يا محمود مش على بعضك ليه؟ عاوز تِمشي اِمشي أنتَ، أنا مش ماشي في حتة.

– أنا.

فنادى صوت خلف الباب قائلًا:

– أيوه مين؟

– أنا صحفي تبع جريدة "الحقيقة"، كنت عاوز أسأل حضرتِك عن حاجات معينة يمكن أعرف أساعد في أي حاجة.

– أنت يوسف يا ابني اللي كتبت المقال عن الحادثة؟

– أيوه يا أمي أنا.

فقامت بفتح الباب وقالت لي والدموع تلمع في عينيها:

– أنا فتحتلك بس؛ لأني قرأت المقال بتاعك وفعلا حسيتك أنت الوحيد اللي كاتب الكلام ده باهتمام ومش لغرض الشغل وبس والفلوس زي الباقين اللي شوهوا صورة ابني وقالوا أنه انتحر.

– هو منتحرش؟

– تشربوا إيه طيب؟ لازم تشربوا حاجة ميصحش.

- ملوش لزوم والله يا أُمي بجد.

- ميصحش، قول يا ابني ما تتعبنيش معاك.

- ماشي خلاص يا أُمي، طالما مصممة اتنين قهوة سادة.

- حاضر.

وأثناء إعدادها للقهوة همس لي محمود وقال:

- يعني إيه منتحرش؟

- هي الست لِسّه قالت حاجة، صبرك يا محمود شوية.

- ماشي يا عم.

- وبعدين مش كنت عاوز تمشي؟

- خلاص بقى أهو أنا قاعد أهو.

فنظرتُ له نظرة ارتياب ولم أهتم وجلستُ أنظُر للبيت من حولي، وكان طبيعيا جدًا لَم يوجد أي شيء أو علامات تُشير إلى ارتباك الأوضاع، يا تُرى ما الذي يحدث؟

أتت والدته بعد ذلك وقلتُ أنا لحظتها:

- تسلم إيدك يا أمي، نتكلم في المهم قُلِيلي إزاي محمد ابنك منتحرش.

- بص يا ابني، أنا هحكيلك كل حاجة، ويا ريت تصدقني.

- أكيد طبعًا يا أُمي وإن شاء الله أساعدك كمان.

– محمد ابني أبوه مُتوفَّى مِن وهو في أولى إعدادي كده، وأنا مليش غير محمد، وقرايبنا كلهم عايشين برا مصر في فرنسا، وأنا كنت بشتغل كذا شغلانة وفي نفس الوقت أعمامه برا بيساعدونا ماديًا، والحال كان ماشي لحد ما اللي حصل حصل بقى.

– مش فاهم، حضرتك وضحي أكتر.

– في فترة من الفترات ابني تعب نفسيًا جامد وهو علطول كان لوحده، وأنا معرفش حد والله يساعدني وهو مش بيحتكّ بالناس أوي.

– انطوائي يعني؟

– آه ويوم مع يوم مع يوم بيتدمر أكتر يا حبيبي.

بدأت بالبُكاء وأكملت قائلة:

– في يوم قررت أودّيه يخضع لعلاج نفسي في مستشفى كده سمعت إنها حلوة بس للأسف كل ده طلع كدب.

– إزاي؟

– ما كانوش بيخلوني أشوفه غير مرة كل أسبوع أو اتنين، واكتشفت مع الوقت إنه كان بيتدمر نفسيًا مش بيتعالج، منه لله الدكتور المتخلف اللي كان السبب في كل اللي حصله ده.

– كان بيعمل إيه؟

– لحد دلوقتي والله العظيم معرفش، بس محمد مكانش بيقول حاجة

غير جملة واحدة: "هو السبب هو السبب".

– حضرتك شوفتي الدكتور ده قبل كده أو اتكلمتي معاه؟

– لا،كان دايمًا في نائب عنه بيتكلم مع أهالي المرضى.

– وإيه اللي سببله السرطان؟

– مواد كيميائية وإشعاعات كان بيتعرض ليها، أكيد كانوا بيدّوله أدوية بهدلته.

– أنا كل حاجة دخلت في بعضها! منين حلوة ومنين ابن حضرتك تعب.

– جايز ربنا جابها في ابني عشان نبلغ عن المستشفى دي تتقفل.

– والدكتور وكل اللي معاه؟

– هنا الغريب بقى يا ابني؛ لما بلغت البوليس عنهم تقريبًا شموا خبر وسابوا المكان كله ومشيوا ودلوقتي المكان مقفول بقاله كتيرومفيش دليل يأكد كلامي، حتى البوليس مصدقنيش وممنوع حد يدخله، ويا ريت متروحش تدور أو تسأل عن المكان؛ لأنه مش حلو خالص وأكيد لو البوليس شاف حد بيحاول يدخله هيحصل مشكلة.

– تعرفي اسم المستشفى طيب يا أُمي؟

– كان اسمها مُستشفى عبد العزيز، أيوه أيوه أنا فاكرة.

– طب تفتكري مين قتله؟ وهيستفاد إيه؟

- هو الدكتور عبد العزيز.

- بعد السنين دي كُلها؟

- آه طبعًا محمد كان قرّب يطلع خلاص من المستشفى أكيد خاف لحسن يتكلم ولّا حاجة، أكيد حد عرف إني متفقة معاه على إننا هنحكي كل حاجة لما يطلع.

- مين طيب؟ وعرف إزاي؟

- والله يا ابني أنا مش عارفة، بس أكيد الحوار فيه حاجة مش متركبة صح.

- هي مكانها فين المُستشفى دي؟

- مش فاكرة بس كانت ورانا تقريبًا في حتة مقطوعة كده وبعيدة.

- هحاول أساعدك يا أُمي متخافيش، ممكن آخر سؤال؟

- أكيد اتفضل يا ابني.

فأخرجتُ النوتة الصغيرة وقلتُ لها:

- حضرتك تعرفي النوتة دي؟

- وريني كده.

فتفحصتْها جيدًا وقالت:

- لأ ليه؟ ماها دي؟

- مفيش أنا بسأل بس، شكرًا جدًا يا أُمي.

- على إيه يا ابني؟ ابقى تعالى أنت وصاحبك الجميل ده اقعدوا معايا ونسوني.

- أكيد إن شاء الله، مش محتاجة حاجة يا أُمي؟

- كتر خيرك يا ابني، البواب بيجيبلي كل حاجة كل يوم ما تقلقش.

- تحت أمرك ورقمي أهو اِبقي كلميني في أي وقت لو احتاجتي حاجة، السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله يا ابني.

ركبتُ السيارة مع محمود وأرخيتُ رأسي للوراء على الكرسيّ وتأففتُ فقال محمود:

- مالك؟

- مالي؟ ده أنا مش حاسس بدماغي والله، اليوم ده مُتعب ومُملّ أوي بجد.

- مُمكن أسألك سؤال طيب يا عم التعبان؟

فوجهت رأسي ناحيته وقلت:

- خير اِتحفني بالأسئلة الجميلة.

- إيه النوتة دي؟

- نوتة اشترِتها زمان عجبتني.

- وليه سألتها عليها؟

- عادي مش عارف، يمكن أنا بدأت أعمل حاجات غريبة؛ لأني عاوز أنام.

فنظر لي محمود نظرة حيرة وقال:

- اممممم، ماشي.

- ليه هو أنت عارف النوتة دي ولّا حاجة؟ بتفكرك بحاجة؟

- لا لونها الدهبي بس لفت انتباهي وشكلها جميل أوي يعني بس.

- دهبي آه، طيب.

- على فكرة أنت بقيت غريب.

- أنا برضو؟ طب اقعد ساكت عشان منزلكش من العربية.

- أيوه أنت؛ لأني خايف عليك مش أكتر.

- شكرًا على خوفك عليا ده بس خليك صريح معايا ومتخبيش عليا حاجة.

- أخبّي عليك حاجة؟ أنا خبيت إيه مش فاهم؟

- بقول في العموم يا عم محمود، مالك أخدت الموضوع على صدرك أوي كده؟ ولّا أنت مخبي حاجة بقى؟

- لأ مش مخبي حاجة.

فنظرتُ له وابتسمت وقلتُ في بالي: "مش مخبي حاجة برضو؟ ده أنت مخبي حاجات والله، آه لو أعرف في إيه يا محمود وتريحني بس هعرف في يوم".

نزل محمود وتوجّه لمنزله؛ محمود مثلي، إنه أعزب أيضًا ويعيش مع والدته، ووالده مُتوفًّى منذ زمن ولا إخوة له، رُبما لهذا السبب أصبحنا أصدقاء وأكثر، ولكني بدأت أتعجب من توتره الزائد عن اللزوم، لا يُهم، أنا الآن يجب أن أعود للمنزل وأقوم بقراءة ما بداخل هذه النوتة الصغيرة وأعرف ما يُخفيه محمد بداخلها.

دخلتُ المنزل وأخيرًا بدلت ملابسي وتوضأت وصليت وسرعان ما جلستُ على السرير بالطبع بعد تناول المُهدئ السحري هذا، وبدأت في قراءة صفحات النوتة، وكانت أول صفحة عبارة عن:

"أنا معرفش هو بيعمل معايا كده ليه؟ وهل معايا أنا بس ولا الباقي كمان بيعاملهم بنفس الطريقة؟ ماما قلقانة عليا أوي وأنا ساكت ومش بتكلم إلا نادرًا يعني، والمرض تاعبني أوي، زهقت من الاسم المُستعار ده كمان".

ورقتين فقط وورقة مُمزقة؟ نوتة عبارة عن ورقتين تحتويان على ذلك الكلام وحسب؟ كيف هذا؟ واسم مُستعار أيضًا؟ وأين تلك الورقة المفقودة؟

لا أفهم أيَّ شيء على الإطلاق ولكنه حان وقت النوم الآن وأخشى أن أعود لجسد ذلك المدعوّ ياسين حتى إنني لا أعرف تفسير هذه الأحلام الغريبة والساعة ٦، لحظة! غدًا يوم الجمعة عُطلة لذلك لَن أُفعِّل المنبه وأرى ما سيحدُث هذه المرة.

٣

"ياسين"

وبالفعل أنا مرة أُخرى في هذا المكان المجنون عند آخر لحظة توقف عندها كل شيء وإسماعيل يقف أمامي ويقول:

- أنت كمان نسيت التعب بتاعك؟

- استنى بس دلوقتي، أنت قُلت الساعة ٦ آخر مرة، إيه الساعة ٦ دي فهمني فهمنيييي؟

- الساعة ٦ ؟ أنت بتقول كلام مش منطقي على فكرة.

- قُلّي حاجة منطقية واحدة بتحصل من ساعة ما جيت المكان المتخلف ده.

- لأ أنت اتجننت فعلًا.

- ما علينا ما علينا، احنا في سنة كام الأول بس؟

- نعم؟

- اِخلص عشان أنا اتجننت فعلًا.

- ٢٠١٢.

- نعم؟

- ليه؟

ولكن فجأة أُصاب بذلك الألم الشديد في الرأس مُجددًا، ولكن هذه المرة أسقطُ مُرتطمًا بالأرض بقوة، وبعد عدة دقائق أستيقظ في مكان يُشبه مُسشفى ولكنها لا تُشبه مستشفى السلام على الإطلاق، وأجدُني مُستلقيًا على السرير ولكن هذه المرة ماذا حدث لي؟

استجمعتُ قواي بصعوبة ونهضتُ من على السرير لأجدني أرتدي زي المرضى!! هل أنا مريض؟ حتى إنني ما زلتُ في جسد ذلك المدعوّ ياسين، وباب الغُرفة كان نفس الباب الذي رأيتهُ سابقًا، بينما أنا أُفكر في كل هذه الأشياء الغريبة حقًا يُنادي عليَّ شخص ما خلفي ويقول:

- أنت صحيت أهو أخيرًا، كل ده نوم؟

وكان ذلك الشخص ياسين أيضًا، ما الذي يحدث حقًا؟ وجد ياسين عينيَّ تنظران له نظرة رعب ودهشة وحيرة، وكل شيء وأنا أقف مُحدّقًا به فسألني مُجددًا:

- أهلًا، بتبصلي كده ليه؟

- أنت مين بجد؟ وإزاي أنت وأنا في نفس الجسم أو جسمك ده أو أيًا كان؛ لأني مش فاهم حاجة بجد؟

فضحك ساخرًا وقال:

- إزاي ما تعرفنيش يا يوسف؟ عالعموم أنت ما تقدرش تشوفني خالص ولا تشوف نفسك حتى، والموضوع غريب بالنسبة ليك طبعًا؛ لأنك شايف وشي أو بمعنى أصح بما إنك في جسمي مش شايف وشنا.

- هتجنن والله، حرام كل اللي بيحصل ده.

- أنا دوري أساعدك تعرف الحقيقة لكن أنا مش هقولك كل حاجة، لازم تعرف بنفسك؛ لأن أنا وأنت غرضنا واحد وهو إننا نلاقي اللي عمل كده في محمد.

- أنت تعرف محمد كمان؟ حاجة طبيعية أخيرًا ده يعني أنا متجننتش الحمد لله لسة.

- لأ لِسّه متجننتش ومفيش أي حاجة من اللي بتحصل غريبة خالص، اِعرف الحقيقة يا يوسف أرجوك.

- والله بحاول بحاول.

- كويس، همشي أنا وأسيبك تفكر،متخافش أنا هجيلك كتير الفترة الجاية وما تنساش إننا من النوع الغريب في نظر الناس وده اللي بيميزنا.

اختفى ياسين وأنا أقف مثل المعتوه ولا أفهم أي شيء على الإطلاق، ولكني بالطبع لن أظل واقفًا في هذه الغرفة الغريبة لوقت طويل، يجب أن أخرج لأستكشف المكان بطريقتي الخاصة كالمُعتاد.

وبالفعل خرجت ولاحظت أنني في طابق عبارة عن ممر طويل بدايته باب حديدي ونهايته باب حديدي أيضًا، وهناك ثلاثة غرف في هذا

الطابق فقط، غرفتي كانت رقم ٦ ، والغرفة التي كانت في المنتصف تحمل الرقم ٧ ، والغرفة الأخيرة كانت رقم ٨ ، وهذا إن دل على شيءٍ فإنهُ سيدُل على وجود غرف قبل رقم ٦، ولكن أين باقي الغرف؟ ولمَ يوجد في طابق واحد كبير كهذا ثلاثة غرف فقط؟ وكم عدد طوابق هذهَ المُسشفى يا تُرى؟

تقدمتُ قليلًا باتجاه الغرفة رقم ٧ تلك، وكان باب الغرفة مفتوحًا بالكامل، ولكن كانت الأنوار مُطفأة، ولكني يُمكنني - بفعل أضواء الممر- رؤية شخص بالداخل يجلس على السرير وملابسُه مُغطاة ببُقع من الدم، فبسرعةٍ ركضتُ مُسرعًا لداخل الغرفة وأشعلت الأضواء وركضت نحو ذلك الشخص واتضح أنه فتى في عُمر ياسين تقريبًا، وكانت ملامحه واضحة بعض الشيء، بالكاد يُمكنني رؤية وجهه، ولكني ما زلتُ لا أراه بدرجة عالية من الوضوح، وكان ينظر للأمام بشكل مُرعب قليلًا فقلتُ له بحذر:

-أنت كويس؟

- أنت ياسين المريض الجديد مش كده؟

- جديد؟ آه أيوه أنا ياسين الجديد، في إيه مالك؟

- لأ الدم ده عادي، أنا بحب أعور نفسي.

- بتحب تعور نفسك؟

فنظر في عيني وتبدلت ملامحه الهادئة فجأة إلى غضب شديد وقال

بحِدة:

– أيوه بحب أعور نفسي، مش كفاية اللي هُمّا بيعملوه فينا؟ جت على دي يعني؟ أنا كده برتاح أوي لما بعور نفسي، عندك مانع؟

– إيه؟ لا بس قلقت عليك مش أكتر.

– ماشي.

– ممكن أقعد معاك شوية نتكلم؟

وفي هذه اللحظة تذكرتُ حديث ياسين وبالتأكيد هذا من صُنعه لأكشف كل شيء، وبما أنه يوجد شخص هُنا في هذا المكان فيُمكنني جمع بعض المعلومات لمعرفة كل شيء يحدُث هُنا فقال:

– ماشي.

– ا، اسمك إيه الأول؟

– نوح، نوح شاهين.

– هو احنا فين يا نوح؟

– مش عارف.

– مش عارف يعني إيه؟

– كل لما أحاول أفتكر حاجة دماغي بتوجعني، يا ريت ما تضغطش عليا، أنا هنا من زمان لكن أنت لِسّه جديد في المكان ده، أتمنى ما يحصلش معاك زي ما بيحصل معايا.

– هي الناس دي بتعمل معاك إيه يا نوح؟

– معرفش، برضو أنا باخد بنج قبل لما ياخدوني في حتة، بس بَصحى هِنا وجسمي كله بيبقى واجعني أوي، ودماغي وجعاني، بس عالأقل بَاكل كويس هِنا وباكل كتير كمان أحلى أكل، الأكل هنا هتحبه أوي.

– آه ماشي، طيب أنا هسيبك دلوقتي ترتاح وأنا كمان هرتاح عشان تعبان شوية.

– أنت هتيجي تاني؟ أنا ما صدقت ألاقي حد يجي يقعد معايا، بقالي كتير أوي هنا لوحدي وماما ما بيخلونيش أشوفها غير قليل.

– هي الأوضة رقم ٨ اللي جمبك فاضية؟

– إيه؟ آه أنا حتى معرفش في كام واحد هنا.

– خلاص ماشي يا نوح، مع السلامة.

استشفّيتُ من حديثي مع نوح أن تصرفاته وتعابيره طفولية بعض الشيء، ولكن العجيب في الأمر أن كلامه غير منطقي على الإطلاق، وأنا سأحاول مساعدته قدر المُستطاع، والآن يجب أن أرى ما بداخل الغرفة رقم ٨ لأتأكد من صحة كلام نوح، فتوجهت للغرفة وكانت مُغلقة بإحكام فقفلتُ لأعود لغرفتي وإذ فجأة مرة أخرى أرتطم بحائط قوي لا أعلم من أين أتى لأقع على الأرض وأستفيق لأجد نفسي مع إسماعيل مرة أُخرى وهو يقول:

– ليه يا ياسين بتسأل ليه؟ صباح الخير أنت بتروح فين يا عم؟

- آه ٢٠١٢ صح، أنا بس استغربت؛ لأن المدرسة دي أنا كُنت فيها في سنة مِن السنين.

- ده وأنت يوسف؟

- آه يا ظريف وأنا يوسف، بس أكيد مش هفتكر اِمتى ولا حتى سنة كام.

- أُمّال بس قُلت نعععععم ليه؟ حسّستني إن في كارثة.

- يلا بينا طيب بقى نمشي مِن هِنا.

فكان عاطف يستمع لنا وقال بأسلوب تهديد:

- أنت فاكر نفسك هتمشي كده عادي؟

فأجبتُ باستهزاء:

- أُمّال المفروض أستأذن منك يعني؟

فتدخل إسماعيل وقال:

- مش وقته لعب العيال ده يا جماعة بقى!

فاقترب عاطف مني وكان قد أحكم قبضته جيدًا وكأنه على وشك ضربي بقوة، ولكني سَبقتهُ بالفعل وكنت على وشك أن أضربه، ولكن فجأة يتوقف كل شيء، ويدي تتوقف تمامًا عن الحركة وجسدي وكل شيء حتى عاطف وكأني جزء من صورة، ويظهر ياسين خلف عاطف ويقول لي:

- لأ، أنت ما تقدرش تغير الأحداث يا يوسف،معلش.

- يعني إيه؟

- يعني هيحصل اللي هتشوفه ده.

وعادت الأمور طبيعية، ولكن أتفاجأ بلكمة قوية على وجهي تُسقطني أرضًا مِن ذلك المعتوه فقلتُ في غضب شديد:

- يا ياسين يا، ماشي؛ لأني مؤدب بس.

فضحك عاطف بشدة على كلامي فعقب إسماعيل وقال لي:

- قوم يلا يلا بقى كبر دماغك منه.

فساعدني إسماعيل على الوقوف ودفعني بعيدًا عنه وذهبنا مُسرعين عن المدرسة فقلتُ له في غضب:

- سِبْني بقى كده، قُلّي إيه سبب العداوة دي معلش الأول بيني وبين الغبي ده؟ وإيه حوار إني أتعب ده؟

- هو مبيحبكش من ساعة لما فتنت عليه على تصرفاته في المدرسة للمدير.

- أعمال مُشاغبة وكده؟

- آه؛ لأنك على طول بتكره عدم النظام، طول عمرك أحسن طالب بينا كُلنا، والطلاب حتى ساعات بيشوفوك غريب؛ لأنك علطول لوحدك كده ومش بتتفاعل مع حد كتير.

- وأنت؟ عرفتك إزاي؟

- يااااااه، ده مِن ابتدائي واحنا مع بعض دايمًا ومش بنسيب بعض خالص.

- صديقي المُقرب يعني؟

- آه، بس وأنت ياسين مش يوسف زي ما بتقول يعني.

- طب وحوار التعب ده؟

- والله بص، أنت كنت بتحكيلي دايمًا إنك بتحس بوجع في جسمك وقلّلت أكلك أوي وبقيت زعلان علطول وساكت، فأنا قُلت ده بسبب كده يعني.

- أنت تعرف واحد اسمه نوح شاهين؟

- لأ مين ده؟

- خلاص ولا حاجة كنت بسأل بس.

- الساعة ٦.

- لأ بقى لأ بقاااا، حوار الساعة ٦ ده كتير كده.

-......

استيقظتُ مِن النوم وكانت بالفعل الساعة السادسة صباحًا، حتى في يوم العُطلة حدث الأمر السخيف مُجددًا!! ماذا سأفعل؟ حتى في يوم الراحة في ذلك الوقت؟ يا الله!!

توجهت للمطبخ لأشرب بعضًا من المياه وفاجأني وجودُ ياسين يجلس على الكرسيّ وقال ضاحكًا:

– كان شكلك يفطس ضحك وأنت بتاخد ضربة في وشك كده.

– والله؟ ده أنت أنا مليش دعوة.

– أنت في جسمي دلوقتي يبقى أنت مش أنا.

– فعلًا؟ أُمّال أنا بكلم مين دلوقتي والجسم عمومًا اللي بيكلمني جسم مين؟

فابتسم وقال:

– ما تستعجلشِ أوي كده، لِسّه التقيل جاي، وأنا يا سيدي حقيقي وكل ده حقيقي فعلًا بس جوا عَقلك أنا جوا عقلك مش أكتر.

– يا رب بقى عالكلام اللي مش منطقي ده! اُدخل في الموضوع يا ياسين، خير، نعم، عاوز إيه بقى؟

– جاي أقولك إن دور إسماعيل كده خلص خلاص.

– بمعنى؟

– يعني تحاول تربط الأحداث ببعض عشان في ناس بدأت تشم خبر إنك بتدعبس ورا موضوع محمد ده.

٤
"سيانيد"

بعد مرور عشرة أيام.

صراحةً ما زالت الرؤية مشوشة نوعًا ما بداخل عقلي، وما زلتُ أرى ياسين والأحداث الغريبة لا تتوقف أبدًا، ولكن لا توجد معلومات جديدة أبدًا، و مَن هؤلاء الأشخاص الذين ذكرهم ياسين أنهم على عِلم أنني أبحث عن سر وفاة محمد الغريب، الأحداث تزداد غرابةً يومًا بعد يوم وهذا يزيد شكوكي حول وفاة محمد، مَن القاتل وما الدافع وراء كل هذا؟ حتى الصحافة تسعى وراء معرفة كل ما حدث، وإيهاب كل ما يُريده مِني معرفة واستكشاف القاتل، ولكني مجرد صحفيّ ولستُ أعمل كمحقق حتى، ولكنه دائمًا ما يُعاملني معاملة خاصة تختلف عن الجميع، يُضيف طابعًا من الإجبار في كلامه وحِدة أحيانًا، ولكني أعمل بجد قدرالمُستطاع؛ لأنني أُحب تلك الوظيفة فعلًا وهو يعلم ذلك جيدًا؛ لأنني أشعر فيها وكأنني فعلًا أخرج شغفي بالكامل وطاقتي فيها، ولكن عندما يتحول الأمر كروتين يومي فقط يُصبح الموضوع سخيفًا بعض الشيء، ولكن على أية حال سأكتشف كل شيء وحدي وأنشر الحقيقة كاملة في النهاية فقط؛ لأنني أفعل ما أُحب ليس إلا.

وأنا أستعد للذهاب للجريدة يرنّ هاتفي فسرعان ما أجبت:

ألو، أيوه يا ابني أنا سميرة والدة محمد.

– أيوه يا أُمي عارف حضرتك خير في إيه؟

فعقّبت باكية:

– تقرير الطب الشرعي ظهر والتحاليل بانت؛ محمد اتقتل زي ما أنا قلت.

– بالراحة بس بالراحة، أنا جايلك.

– ماشي يا ابني في انتظارك.

بعد ما أغلقتُ الخط على الفور اتصل بي المُدير وكانت نبرة صوته غاضبة وقال:

– أنت فين كلٍ ده؟ كل الجرايد بدأت تكتب عن الخبر، اِنجز شوف في إيه بيحصل حالاً.

– أنا رايح أهو لوالدة محمد أفهم منها كل حاجة.

– مش مُهم تروح فين ولا تتهبب تعمل إيه، اتفضل شوف شغلك، ولّا هو ده عشان اتساهلت معاك مرة هتستحلى الموضوع؟

– حضرتك أنا مش متأخر حتى لِسّه معاد الشغل ما بدأش.

–............

وكان قد أغلق المكالمة، ولكني لم أمتعض، على أية حال توجهت للجريدة أولًا وركبت سيارتي وتوجهت لمنزل والدة محمد وكانت بالفعل تَنتظرني واقفة على الشرفة فسرعان ما فتحت لي وقالت:

– كلموني كلموني قالولي إنه اتسمّم.

– اتسمم؟ يعني كمان اتلعب في مسرح الجريمة على أنه انتحار؟

– أيوه يا ابني أنا مش عارفة أعمل إيه ولا أتصرف إزاي.

– أنا هطلع هتصرف وهعرف تفاصيل أكتر بس عندي سؤال مسألتوش لحضرتك آخر مرة لما كنت عند حضرتك.

– اتفضل قول أكيد.

– حضرتك قُلتي إنك شاكة في اللي اسمه عبد العزيز ده.

– أيوه أنا متأكدة كمان.

– حلو أوي، ليه محاولتوش تكشفوا الحوار ده بأي طريقة لما كان بيتعالج في المستشفى من السرطان؟ صبرتوا كل ده ليه؟

– أنا ابني أغلب الوقت مش بيتكلم ومسهم طول الوقت، أنا كويس إني قدرت أخرّجه من المستشفى النفسية دي، كنت مستنياه يخلص العلاج بتاعه، ساعتها ما كنتش هسكت لحد لما ألاقي اللي اسمه عبد العزيز ده هو واللي معاه وأكشفه وأفضحه كمان، ولو قدرت أسجنه هسجنه.

– اممم، دلوقتي بعد الوفاة في حاجات بدأت توضح، كانوا خايفين لَيتكشفوا فأكيد بَعتوا حد يعمل كده طالما ملكوش أعداء غير دول، أكَيد كمان مش مُغفلين وبيتابعوا المرضى بتوعهم اللي مشيوا ويتأكدوا إن مفيش حد هيقول حاجة.

– أيوه.

– طيب وباقي المرضى، راحوا فين وليه محدش قال اللي كان بيحصل معاهم أو حد قال أي حاجة عن عبد العزيز ده؟

– يمكن ماتوا؟

– وأهاليهم سكتوا؟

– يا ابني أنا كان هيتضحك عليا لولا شوفت ولاحظت إن ابني كان بيتدمر أكتر من إنه بيتحسن، وأكيد كان ليهم طُرق بقى عشان يضحكوا بيها عالناس معرفش.

– يبقى دلوقتي لازم أروح المستشفى دي بنفسي وأعرف كل حاجة.

– بلاش يا ابني.

– ما تقلقيش يا أُمي ده هحطه بديل لو ما عرفتش أتصرف، وإن شاء الله الأمور ما توصلش لإني أضطرّ أروح هناك بنفسي.

– ماشي يا ابني أنا مُعتمدة عليك بعد ربنا.

– ونعم بالله، أستأذن أنا عشان أشوف حل للي بيحصل ده.

لم أنتظر طويلًا فبمُجرد نزولي من عِند والدة محمد اتصلتُ بصديق لي في مركز الشُرطة ليساعدني في جمع بعض المعلومات:

- ألو، إزّيّك يا مُعتصم؟

- يااااه، يوسف؟ عاش من سمع صوتك، والله المقال بتاع آخر مرة كسر الدنيا عالآخر، فعشان كده مبتسألش ولا إيه؟

- والله لا، بس مسحول في تغطية الواقعة دي وبحاول أعرف كل حاجة.

- ماشي يا سيدي ربنا يعينك ويعينا كلنا.

- عشان مطولش عليك كنت عاوز أسألك هو محمد ده اتسمم إزاي؟ أو إيه حوار السم ده؟

- معرفش والله.. كل اللي عرفته إنه بلع "سيانيد" وشكل كده محدش لحقه فمات، واتلعب في مسرح الجريمة وحصل الباقي اللي أنت عارفه بقى، وطبعا اتلعب في الكاميرات وإدارة المُستشفى مُتأكدة إن محدش دخل الأوضة بعد إبتسام دي، وسألناها ملقيناش عليها حاجة فسيبناها.

- بس دي مبتردش ومن بعدها مجتش الشغل.

- دلوقتي المفروض هنروح شقتها نسألها تاني؛ لأن طالما هي آخر واحدة شافته يمكن هي اللي سمّمته وساعدت في قتله الأول، بس ما توقعناش إن ممكن مُمرضة تعمل مسرح جريمة بالشكل ده لوحدها.

- اِبعتلي العنوان أنا جاي معاكو

- تمام بسرعة روح هناك.

أرسل لي مُعتصم العنوان عبر الماسنجر وتوجهت لمنزلها وانتظرته، وبالفعل لم تمُرّ دقائق إلا وقد وصل ومعه اثنان من الشرطة، وصَعدنا لأعلى فهي كانت في الدور الرابع شقة ٤٥ ، لم تُجب على الإطلاق فاضطررنا لكسر الباب والدخول، وكانت الصدمة فَي ما شاهدناه وما جعلني أنا مصدومًا شابكًا يدي خلف رأسي من هول المنظر؛ فلقد كانت إبتسام مُستلقية على الأرض مُصابة بطلقة في الرأس والطلقة غير موجودة ولا أداة الجريمة، ولكن هذا ما لم يجعلني مصدومًا لهذه الدرجة بل ما جعلني مصدوًما هو الورقة التي كانت في يد إبتسام والتي كانت تحتوي على جملة: "أنت فاكر يا ياسين؟".

ففكرتُ قليلًا هل الدكتور عبد العزيز هو الفاعل؟ وحتى لو كان هو الفاعل كيف يعلم بأمر ياسين فأنا لَم أُخبر أي شخص عن ياسين هذا؟ لا يُعقل ما يحدث الآن والأمور بدأت تأخذ مُنعطفا آخر، الشاهدة قُتلت وكأن الفاعل يُريد أن يتخلص من أي دليل ولا يترك خلفه شكوكا حتى لو كان هذا الدليل إنسانا.

نظر لي مُعتصم وقال في تعجب:

- كده اتنين ماتوا في أقل من شهر والاتنين مُرتبطين ببعض مريض وممرضة كانت مسؤولة عنه، هايل جدًا.

فعقبتُ متوترًا:

- أيوه.

- مالك اتوترت كده ليه أنت مش متعود على كده؟

- إيه؟ لا والله بس الموضوع غريب بس مش أكتر.

- غريب آه، أنت تعرف مين ياسين اللي في الورقة ده؟

علمتُ حينها أن مُعتصم بدأت تتكون الشكوك تجاهي سريعًا داخل عقله فأجبتُ بهدوء وعقلانية:

- لأ معرفوش والله هعرفه منين.

- ماشي، شوف هتكتب عن إيه بقى ونزّله قبل ما الصحفيين يعرفوا ويكتبوا عن الموضوع واحنا هنبلغ الناس.

- استنى، أكيد اللي بيعمل كده متابع الأخبار بتاعة القضية دي، لازم نضلله بأي شكل.

- ولو، هنضلله إزاي؟

- بقولك إيه، دورتوا على اللي اسمه عبد العزيز ده؟

- اللي الحاجة سميرة قالت عليه؟ آه دورنا بس يعني هو كان عايش في أمريكا زمان وجه هنا فتح مستشفى للعلاج النفسي، ولما كان في بلاغ عنها من سميرة راحوا لقوها اتقفلت، أصلًا الموضوع مش مفهوم كله على بعضه ولا حد عارف المرضى فين ولا أهاليهم ولا أي حاجة.

- دورتوا طيب جواها لقيتوا سجلات مرضى كده يعني؟

- آه وفاضية تمامًا وسألنا الناس قالوا ميعرفوش أي حاجة.

- سفينة فضاء يعني بتاخدهم وتمشي؟! مش منطقي يعني والله كل ده، أنا ماشي، لو في جديد بلغني.

- حاضر، ربنا يستر.

نزلتُ مُسرعًا وكدتُ أن أنفجر من الغضب؛ أريد العثور على عبد العزيز هذا، بالتأكيد هو يعلم شيئا لا يعلمه أحد، اتصل بي محمود بعد ذلك وكان خائفًا:

- يوسف، فينك؟ أنت كويس؟

- آه أيوه في إيه؟ خايف ليه كده؟

- قلقت عليك ومكلمتنيش بقالك كام يوم كده ومجتش الشغل الصبح.

- آه روحت لبيت إبتسام المُمرضة مع البوليس لو فاكرها ولقيناها مقتولة.

- مقتولة؟ غريبة!!

- مش ده بس الغريب والله، لقينا معاها ورقة في إيديها مكتوب فيها: "أنت فاكر يا ياسين؟".

وبعدها ساد صمت رهيب ولم يُجب محمود فقلتُ له:

- ألو يا ابني روحت فين؟

- أ، أيوه معاك.

- أنت تعرف مين ياسين ده يا محمود؟

- لأ.

فأغلقتُ الخط مع محمود على الفور؛ لأنني شعرتُ باليأس تجاه كل شيء، مِن خِصالي أنني لا أريد رؤية أي شخص يُعاني لأي سبب كان بالأخص المُقربين مني؛ لا أعلم ما الذي يتوجب عليّ، فقط أشعرُ وكأنني أصبحتُ متورطًا في الأمر كلهُ من البداية وحتى النهاية، ذهبتُ للجريدة بعد ذلك لكتابة مقال يشمل معلومات اليوم حتى ولو كانت ضئيلة نوعًا ما، ولكن ذلك لإرضاء أستاذ إيهاب، وبعدها توجهت للمنزل وأنا مُنهك دونًا عن أي يوم ولا أشعر بأي طاقة في جسدي، وذهني مُتضرر بدرجة قاسية جدًا، وعند وصولي نظرتُ لشقَتي وأنا أقول بداخل رأسي: "يااه أخيرًا هنام شوية حتى لو هشوف اللي اسمه ياسين ده أهو أرحم من اللي بيحصل ده"؛ ولكن أُفاجَأ بشخص يهمس في أُذني من الخلف:

- الأن ستبدأ مُعاناتك يا يوسف؛ أتُريد معرفة كل شيء فعلًا؟ حسنًا لنُشاهد سويًا ما حدث.

بعد سماع ذلك شعرتُ بوغز في عُنقي وكأن ذلك الشخص قام بحقني بشيء ما لأسقط على الأرض فاقدًا الوعي تمامًا.

٥

"شيطان"

استفقتُ بعد دقائق، على ما يبدو كان حولي أُناس وواحد منهم قال:

– أنت كويس يا ابني قوم قوم اِسند عليا.

كنتُ أشعر بالدوار الشديد فسألت ذلك الرجل:

– هو إيه اللي حصل؟

– واحد كان واقف بيكلمك احنا شوفناه بس كان لابس طاقية على راسه ونضارة سودة بعدها جري علطول وأنت وقعت.

– آه آه صح، مين ده كمان يا رب وحقني بإيه المجنون ده؟

– إيه؟

– خلاص يا حج خلاص كتر خيرك.

– أَخَلّي حد يطلعك طيب يا ابني؟

– لا لا أنا هطلع لوحدي شكرًا يا جماعة شكرًا.

غاص من جديد كل فرد في قصته من جديد وأنا عدتُ للكابوس مُجددًا، صعدتُ للمنزل بصعوبة شديدة فلم يتوقف الدوار بل زاد

عليه صداع مُميت فسرعان ما دخلت للمنزل وتناولت دواء للصداع وارتميتُ على السرير بملابسي وغصتُ بداخل عالم جديد هذه المرة؛ فبمجرد أن أغمضتُ عينيَّ رأيتُني أقف في غرفة لونها أبيض بالكامل لا تحتوي على أي شيء سوى باب واحد وقد دخل منه رجل غريب ملامحه ليست واضحة على الإطلاق يرتدي ملابس لونها أسود واضعًا يديه خلف ظهره وقال لي:

– أنت مش هتِهْدَى غير لما تبقى زيهم؟

– أبقى زي مين؟

– زي محمد وإبتسام.

– أنت عبد العزيز؟

– سريع البديهة ما شاء الله، أنا جاي أقولك إنك يُستحسن تبعد عن الحوار ده؛ لأنك لو افتكرت أنا هقتلك زيهم.

لم تسمح لي الفُرصة لقول أي شيء فلقد خرج فجأة من ظهره ثُعبان كبير أسود اللون أحمر العينين، وبدأت الغرفة مِن حولي تتغطى بالدم ويظهر محمود ومعتصم ونوح جميعهم مُعلقين في الهواء وملامحهم مشوهة بالكامل فضحك عبد العزيز وقال:

– أتمنى ما نتقابلش تاني عشان المرة الجاية مش هتبقى عايش.

وهجم ذلك الثُعبان عليّ لأسقط على الأرض، ولكني في الشارع تحت المنزل كما كنتُ منذ قليل وهناك حولي نفس الأشخاص وقال لي

نفس الرجل العجوز:

- أنت كويس يا ابني؟ قوم قوم اِسند عليا.

- نعم؟ هو حصل إيه؟؟!

- أنت كنت واقف بقالك أكتر من ربع ساعة متنح كده وباصص قدامك وفجأة وقعت على الأرض.

- يعني أنا مطلعتش البيت؟

- نعم؟ لا يا ابني.

- والشخص اللي كان بيتكلم معايا؟

- آه، ده جه وقف وراك قالك حاجة ولقيناه بيجري، ومن وقتها وأنت واقف كده بقالك ربع ساعة بنحاول نتكلم معاك بس أنت مفيش خالص.

أنا حتى لا أشعر بالدوار أو الصُداع، ولكن أنا مُتأكد مِن أن ذلك الشخص قام بحقني بشيء ما،

صعدتُ على الفور وتناولت المُهدئ وحان وقت استكشاف المزيد في عالم الأحلام المُظلمة الخاص بي، وبالفعل أنا ياسين مُجددًا، ولكني أرى نفسي هذه المرة في غرفة استقبال على كرسيٍّ وكان هُناك شاب وسيدة وجوههم غير واضحة أيضًا، ولكنني استنتجتُ من الحديث أنها والدة ياسين حيث كانت تقول:

- بقى عدواني جدًا الفترة اللي فاتت دي، وكان هيتقل واحد في المدرسة كمان لولا المَدرسين حاشوه.

- يقتل؟

- أيوه أخد سكينة معاه من ورايا وراح بيها المدرسة.

- طيب هو عنده مواهب أو حاجة؟

- آه ياسين ذكي جِدًا.

- كويس، حضرتك متخافيش هنعرف نتعامل معاه ونعرف كل حاجة منه وهنخليه يتكلم تاني زي الأول.

- شكرًا جدًا.

حسنًا حسنًا الأمور بدأت تتضح الآن بعض الشيء بفضل ياسين؛ بالطبع ياسين حاول طعن ذلك المعتوه عاطف وكان يمر بحالة مُزرية كما أوضح إسماعيل سابقًا، وهذا سبب وجوده في المستشفى مع نوح وبذلك يتبقى فقط معرفة ما الذي يحدث مع نوح والأمور التي يواجهها هُنا في هذا المكان، ولكني رغم كل شيء سأبذل قُصارى جُهدي لمُساعدة نوح بأي شكل كان، فيحزُ في خاطري بقاء هذه الروح حزينة دائما، وكما ذكر ياسين سابقًا بأنني لا يُمكنني تغيير ما حدث، ولكني على الأقل يُمكنني انتزاع السلبيات مِن قصة نوح. وبعدها اقتربتْ مني أمي وقالت:

- متخافش أنا عاوزاك تبقى أحسن والله.

فأجبتُ متوترًا:

- أ، ماشي حاضر.

والآن انتهى هذا المشهد بسلام وكأنني أعيش داخل فيلم أو كتاب بشخصية أخرى وحياة أُخرى مُختلفة تمامًا فقط لكشف الوقائع والأحداث التي تحدث من حولي في كل زمان ومكان، يجب عليّ أحيانًا أنا كيوسف أن أُخاطر من أجل بعض الأشخاص في حياتي حتى ولو كان ذلك يُضرني في بعض الأحيان، ولكن هذه طبيعتي التي لا أتخلى عنها أبدًا، البعضُ يراني مختلفًا، ولكن بطريقة مُميزة عن أي شخص، في الحقيقة أنا لا أتفاخر بذلك، ولكني أفعل كل ما بوسعي دائمًا وغير ذلك أفعل الأفضل.

أتى رجل مُختلف عن الذي كان يتحدث مع والدة ياسين غير واضح الملامح أيضًا وقام بلف قطعة من القماش حول عيني فسألته:

- أنت هتوديني فين؟

- أنت لِسّه في أيامك الأولى مش وقته الفضول ده، أسأل أنا ممكن؟ أنت فعلًا كنت عاوز تقتله؟

- آه عادي، اللي زيه مش لازم يعيشوا أصلًا.

شعرتُ بوغز في يدي فقلتُ له في غضب:

- إيه الحقنة دي؟

- متخافش متخافش دي مكملات كده عادي بتتاخد على شكل حقن حتى مش هيحصلك حاجة ما تقلقش.

شعرتُ بالاطمئنان نوعًا ما؛ لأنني لم أشعر بشيء فعلًا فسألتهُ قائلًا:

- هو احنا هنوصل امتى للي أنت موديهوني ده؟

فقام بنزع قطعة القماش من على عيني وقال:

- وصلنا أهو.

- أوضة رقم ٦، زي ما توقعت بالظبط.

- نعم؟

- لا ولا حاجة المهم أعمل إيه دلوقتي أنا؟

- تتفضل تدخل ترتاح لحد ما المُمرضة تيجي تديك الأكل بتاعك.

- لحظة لحظة، المُمرضة دي اسمها إيه؟

- سعاد، ليه في حاجة ولا إيه؟

- لا بس بسأل.

- هنا مفيش أي حاجة تقدر تخليك تنتحر أو تقتل حد أو أي حاجة من اللي بتدور في دماغك دي.

- لأ مبفكرش في كل ده.

- تمام.

وتركني ورحل، صراحةً يبدو كالأحمق وهو يقول هذه السخافات، لا يعلم أنني هُنا من الأساس لمعرفة مَن هو ياسين ونوح ومساعدتهم والكشف عن مقتل محمد، فانتظرت مُغادرته وذهبتُ لغرفة نوح ووجدت الباب مفتوحًا كالسابق، ولكن قبل دخولي اختفى كل شيء وعاد مرة أُخرى في نفس الوقت، فدخلتُ لنوح فوجدته يبكي هذه المرة فركضت نحوه وقلتُ له:

- نوح مالك في إيه؟

- أنا مبقيتش قادر أستحمل أكتر مِن كده.

- بيحصل إيه قُلّي.

- بعيش حاجات أنا معرفش، معرفش أنا ببقى فين ولّا بعمل إيه، ودماغي توجعني أوي ومش عارف بيحصلي إيه بجد!

- اِهدَى طيب اِهدَى، أنا معاك أهو مفيش حاجة.

بكل حسرة وألم سرد لي نوح مُعاناته الشديدة في التعامل مع كل شيء حوله ونظرة الجميع له على أنه شخص غريب في تصرفاته وتعامله مع العالم الخارجي؛ فهو لا يستطيع أن يُعبر عن مشاعره أو كلامه بشكل صحيح، ودائمًا ما يشُعر بالتوتر حيال كل شيء حرفيًا، فسألتهُ بنبرة صوت مليئة بالأسى:

- أنت لِسّه مش فاكر حاجة؟

- أنا دماغي بتوجعني أوي من العياط طول اليوم، ومش بعرف

أفكر كويس، أنا اللي فاكره قُلتهولك.

– أنا عاوز أساعدك يا نوح فأتمنى أنت كمان تكون متعاون معايا؛ تقُلّي أي حاجة عن المكان ده أو بيعملوا معاك إيه هِنا؟

– طب بص، أنا عرفت إن احنا مش في القاهرة لِسّه كنت سامعهم بيتكلموا.

– طيب فين؟

– مش عارف.

إذن نحنُ لسنا مع دكتور عبد العزيز هذا كما اعتقدتُ أنا، حتى ربط الأمور أصبح أصعب من اللازم، أم أن هُناك أمرًا خفيًّا لا أعلمهُ أنا ولا أي شخص حتى الآن؟ وهذا هو المُرجح حسب شكوكي، حسنًا سأسأل نوح عن الدكتور عبد العزيز هذا لعله يعرفه، كيف ونحنُ لسنا في نفس الزمان أو حتى المكان؟ لا أعلم ولكن بالتأكيد هُناك اتصال بين الأشياء، ولكن إلى ماذا ينظر نوح بهذه السعادة العارمة فلقد ابتسم فجأة بطريقة غريبة ولمعت عيناه أيضًا فسألته:

– أنت بتبص على إيه؟

– أنت مش شايف؟ دول حلوين أوي؟

– إيه دول اللي حلوين يا نوح؟!! دي حيطة.

فتغيرت ملامحه فجأة ونظر لي نظرة بملامح بارِدة جدًا ووضع

يده حول عُنقي بسرعة ورفعني في الهواء، وكان قد تحول وجهه للون الأسود تمامًا وتلونت عيناه باللون الأحمر وكأنه يشبه الثُعبان الذي خرج من ذلك الرجُل آخر مرة فشعرتُ بألم شديد وقلتُ له:

- نوح، أنت، أنت بتعمل إيه؟

فألقاني على الأرض بقوة وقال لي:

- مش مسموح أبدًا تتريق على أي حاجة بتفرحني أنت فاهم؟

- أ، أنا آسف ما كنتش أقصد.

فاستدار وقام بالجلوس وكأنه لم يحدُث أي شيء على الإطلاق، واستمر بالابتسام فاستجمعتُ قواي مُجددًا وجلست بجانبه بهدوء شديد وقلتُ له هذه المرة:

- الله!! دول حلوين أوي يا نوح.

- آه شايف بابا مرمي على الأرض إزاي هو وماما.

- إيه يا حبيبي؟

فضحك بصوت عالٍ وقال:

- أصل أنا قتلت بابا زمان وكنت مبسوط أوي، شايف المنظر جميل إزاي؟

فنظر لي مُجددًا، ولكنني لم أنتظر ركضتُ نحو الباب للخروج وقام بالوقوف وخرج من خلفه الكثير من الثعابين لتعترض طريقي والتفوا

جميعهم حول جسدي فاقترب مني نوح وقال لي:

- أنت حتى ما شوفتش اللي حصل ولّا أنت مش هامّك تعرف كل اللي حصل عشان تساعد نوح؟

- نعم؟

فتحول نوح إلى هيئة شخص آخر وكان بالفعل ذلك الرجل صاحب الأفاعي هذا وقام بخبط رأسي بقوة وفقدت الوعي، ولكنني عِندما استيقظتُ وجدت نفسي في منزل غريب ووجدت نوح يركض نحو والده ويحمل في يده سِكينًا وهو يصرخ ويقول:

- أنا هقتلك وهكون مبسوط أوي بِكده.

فركضتْ نحوه والدته وحاولتْ ردعه، ولكنه قام بضرب رأسها بفازة ففقدت الوعي وسقطت على الأرض فاقترب مِن والده وقال له:

- لو عملت حاجة زيها والله العظيم ما هتبقى عايش، احنا لِسّه مخلصناش كلام فردّ والدُه وقال:

- أنت اتجننت! إيه اللي أنت بتعمله ده؟

- طول عمرك محسسني إني قليل وسط كل الناس وبتقلل مِني وتحتقرني وأنا معرفش ليه، طول عمرَك بتضربني وتهِنّي قدام كل صحابي، تستحق اللي هيحصل فيك!!

- عشان أنت غبي ومتخلف ومبتعرفش تعمل أي حاجة في حياتك،

ملكش أي لزمة حرفيًا.

- اِخرس خالص! بس بقى كفاية.

كان نوح يبكي بشِدة من كلام والده فتوجه له وعيناه مُكتظتان بالغضب والشديد، طعن والده ٦ طعنات في معدته وصدره أودت بحياته وبعدها نظر لي وقال:

- شوفت بقى؟ إيه رأيك يا ياسين؟

وسرعان ما اختفى كل شيء من حولي وعدتُ للمُستشفى مُجددًا وكان قد اختفى ذلك الرجُل ورأيت نوح يقول لي:

- ياسين مالك أنت كويس؟

- إيه؟ آه آه كويس.

- أصل أنت كنت هتموتني دلوقتي.

- نعم؟ إزاي؟

- آه مِسكت رقبتي جامد وكنت هتخنقني وأنا حاولت أبعدك عني بس لقيتكَ بتعيّط فجأة وروحت بعيد عني كده عشان كده بسألك أنت كويس؟

- أيوه كويس، أنا آسف والله.

- عادي أنا أصلا مش فارق معايا أعيش أو لا في المكان ده.

- طيب، نوح أنا هروح أوضتي دلوقتي مُمكن؟

فقام نوح بِشد ذراعي بقوة وقال:

- أنت هتفضل معايا مِش كده؟

- أكيد إن شاء الله.

- شكرًا ليك يا ياسين أنت صاحبي الجديد بعد لما مكانش عندي صحاب خالص.

- هو أنت فاكر باباك؟

- إيه بابا؟ لا مش فاكره، بابا مُتوفّى من زمان ليه؟

- مات إزاي؟

فقام نوح بوضع يده على رأسه وقال:

- إيه؟ مش فاكر والله مش فاكر مش عارف بجد أنا تعبان أوي.

وبدأ بالبُكاء مُجددًا فربّتُّ على كَتفه وقلتُ لهُ:

- خلاص اِهدَى اِهدَى مفيش حاجة أنا هسيبك ترتاح وأنا كمان عشان تعبان.

وفي طريقي للغرفة كان كل ما يدور في رأسي هو غرض واحد ليس إلا؛ وهو كيف يقوم نوح بِفعل ذلك؟ هيئته وتصرفاته وكلامه الطفولي لا يعطي أي انطباع أو يُثير حتى شكوكا أنه قام بفعل ذلك.

فدخلت الغُرفة ورأيت مُمرضة كانت تضع لي الطعام فقلت لها:

– حضرتِك دكتورة سُعاد مش كده؟

فالتفتت وابتسمت لي وقالت:

– أيوه أنا يا ياسين، أنت كنت فين صحيح عند نوح؟

– أيوه كنت بتكلم معاه شوية.

– شكلكو بقيتوا صحاب، كويس هو كمان علطول لوحده أغلب الوقت كويس إنه لقى حد يتكلم معاه.

– ممكن أسأل حضرتِك سؤال؟

فتعجبتْ وقالت:

– سؤال؟ أكيد، قُلّي في إيه؟

– هو نوح جه هنا ليه. بسبب إيه يعني؟

– أ، معرفش، يلا الأكل سخن كُل بقى.

وكانت على وشك الخروج، ولكني أمسكت يدها بقوة وقلتُ لها:

– مفيش داعي تخبي عليا، هو جه هِنا عشان قتل باباه؟

– هو قالك؟

– لا مقليش ومش مهم عرفت إزاي.

– آه قتل باباه وجه هِنا عشان يتعالج، حاجة تاني؟

– آه احنا مش في القاهرة صح؟

- أيوه ومش هقدر أجاوبك أكتر مِن كده.

فأبعدتْ يدي وغادرتْ وتركتني في بحر من التساؤلات والحيرة، ولكن ظهر ياسين أمامي فجأة وقال لي:

- كِدب.

- عفوًا؟ إيه ده اللي كِدب؟

- نوح مقتلش باباه زي ما أنت توقعت فعلًا.

- الله بقى! حصلّه إيه طيب؟

- لازم تعرف بنفسك، أنا جيت أقولك وأنهي شكوكك خالص إن نوح مقتلش أبوه وهما بيكدبوا ومفهمينه كده.

- طب واللي أنا شوفته ده نتيجة إيه؟

- نتيجة اللي حصلك.

اختفى ياسين واختفى كل شيء من حولي وبدأت أسمع أصوات دقات ساعات كثيرة من حولي حتى أصبحتُ أشعر بالدوار الشديد، وهناك كلمة واحدة بدأت تتردد باستمرار وكانت من أصوات أطفال: "ستموت"، حتى توقفت أصوات دقات الساعات وأصوات الأطفال وظهرت فتاة أمامي حسنة المظهر شعرُها كَستنائي فاتح اللون قصير وعيونها بُنية، وكانت مُرتدية فُستانًا أزرق اللون وملامحها بريئة جدًا فابتسمت لي وقالت لي:

– إزّيّك يا يوسف، الساعة ٦ دلوقتي وقت ما نوح مات.

٦

"الساعة السادسة"

استيقظتُ مفزوعًا جدًا وجسدي بالكامل يؤلمني والصُداع كاد أن يقتُلَني حرفيًا، قررتُ أن أذهب للجريدة مُبكرًا؛ فأنا لا أُريد البقاء في المنزل، تناولت بعض المُسكنات لكي يزول كل هذا الألم حتى ولو كان شيئا بسيطًا وسرعان ما توجهت للجريدة قبل أن يأتي أحد، فقط "عم عبده" مَن يأتي السابعة صباحًا لكي يُنظف المكان فاستقبلني هُناك، ولكنه رأى علامات الإجهاد على وجهي فقال لي مُتعجبًا:

– أستاذ يوسف؟ في إيه؟ مال حضرتك؟ ما نِمتش كويس ولا إيه؟

– ما نمتش كويس؟ أنا كنت في كابوس، كابوس مبيخلصش.

فتغيرت ملامح عم عبدُه فجأة وبدأت عيناه تسيل منها دماء وابتسم لي ابتسامة شيطانية وقال:

– فضولك وداك في داهية خلاص، مع إني حذرتك بدل المرة ألف.

فدفعتهُ بعيدًا عني فقال لي:

– في إيه يا أستاذ يوسف عالصبح؟ كنت هتوقعني، كل ده عشان سألتك مالك؟ أنا غلطان صحيح.

فأغمضتُ عيني وفتحتها مرة أخرى لأرى عم عبده كما هو وكان كل شيء على ما يُرام؛ فاعتذرتُ له وذهبت لمكتبي وأنا في غاية التعب فأتى عم عبده وقال لي:

- تشرب حاجة؟

- نعم؟ أنت مين؟

- هو في إيه؟ إيه اليوم اللي مش باينله ملامح ده؟! مالك يا أستاذ يوسف فيك إيه بس؟ إيه اللي أنا مين دي كمان؟

- هاه؟

والآن أرى ضبابًا في كل مكان وتشويشا، كل شيء غير واضح على الإطلاق ورأسي تؤلمني جدًا فأنا أرى مشاهد كثيرة الآن أمامي ولا أعرف ماذا يحدث، أشخاص يتكلمون وشوارع وسيارات وجثث، والآن أرى دماء حولي في كل مكان حتى إنني جلستُ أركض لمسافات ومسافات ومسافات ولا يوجد مخرج أبدًا، وعاد صوت الأطفال ودقات الساعات الكثيرة مُجددًا، بل وازداد على كل هذا فحيح أفاعي وكل هذا بداخل رأسي فنادى صوتٌ مِن بعيد وقال:

- بس خلاص اسكتوا، هو خلاص جاب آخره كده.

فالتفتُ لأرى مَن المُتحدث وكان ذلك الوغد مُجددًا عديم الملامح؛ فاندفعت نحوه بغضب، ولكنه أطلق تلك الأفاعي لتلتفّ حولي مُجددًا وتُثبّتني مكاني فقال لي ساخرًا:

- لأ لأ اِثبت كده وبلاش تعمل حاجة تِندم عليها أكتر مِن كده، كفاية أوي اللي بيحصلك.

- أنت عاوز إيه يا عبد العزيز بالظبط؟

- لأ لمّاح عجبتني يا يوسف والله، طالما أنت ذكي كده مش عارف تلاقيني ليه؟

- قتلت محمد ليه؟

- للأسف كان قوي وحاول يلعب معايا لعبة مش لطيفة فقتلته.

- وإبتسام إيه ذنبها؟

- خاينة مش أكتر.

- أكيد كانت هتبلغ عن أفعالك القذرة.

- فكر تعمل زيها وشوف هعمل فيك إيه، ياسين مبقاش يظهرلك كتير صح؟

- أنت عملت حاجة؟

فضحك وقال:

- بتحبوا دايماً تمشوا في الطريق الغلط للأسف، محدش بيتعلم خالص.

فحضر في ذهني موقف الحقنة فوضعتُ يدي على رأسي فلقد راودني ذلك الشعور بالألم الشديد مُجددًا وقلتُ له:

- أنت! أنت اللي ادِّتني الحقنة دي!!

فتغيرت ملامحهُ مُجددًا وازدادت قوة الثعابين حتى كادت أن تَقتُلني إلى أن فقدتُ الوعي، ولكني ما زلتُ أشعر بكل ما يحدثُ حولي، فسمعتُ حديثًا يدور بين عبد العزيز وشخصٍ آخر، ولكنه كان صوت فتاة وكان يقول لها غاضِبًا:

- أنتي بتعملي إيه هِنا؟

- حتى ده كمان مش هتسيبه في حاله، أنا والله مش هسيبك تعمل فيه حاجة هو كمان.

فوجهتِ الكلام لي وقالت:

- يوسف، متخليهوش يسيطرعليك، كل اللي بتشوفه هلاوس بسبب الحُقنة، اهرب يا يوسف اهرب.

وبعدها سمعتُ صوت ضربة قوية، ولكني لا أعلم مَن قام بضرب الآخر حتى بدأتُ أفتح عيوني رويدًا رويدًا لأرى نفسي في المُستشفى فقلتُ بصوت مسموع ومُنهك:

- أنا فين؟

فركض محمود نحوي وقال لي:

- حمدًا لله على سلامتك أخيرًا فُوقت.

- هي الساعة كام؟

– الساعة ٦ المغرب ليه؟

– ليه كده بس يا رب؟

– ليه إيه؟ أنت إيه حصلك أصلًا؟ وإيه اللي حصل مع عم عبده ده يا يوسف؟

– أنا، أنا معرفش والله، مش فاكر أوي، أنا تعبان أوي ومش عارف أفكر دلوقتي.

– تمام ماشي، هسيبك ترتاح بس قبل ما أمشي في حد سابلك الجواب ده.

– جواب؟ مين سابه؟

– معرفش، واحدة جت اِدّته للمرضة تحت، والممرضة قالتلي كده.

– ماشي حطه جنبي وامشي أنت، كتر خيرك يا محمود شكرًا والله.

– على إيه، أهم حاجة تبقى كويس.

وأثناء مُغادرة محمود وقف فجأة مكانه وقال:

– بطّل تمشي في الطريق الغلط يا يوسف، واتعلّم من أخطاءك عشان متدفعش تمن كل ده بعدين.

وقام بفتح الباب وغادرفي هدوء.

حسنًا هذا هُراء حتمًا وأنا لم أكترث لهذه السخافات فقمتُ بفتح الجواب وكان يحتوي على رسالة مكتوبة بخط اليد وصورة، فقرأتُ

الرسالة أولًا وكانت تحتوي على الآتي:

"إزّيّك يا يوسف، معرفش أنت عارفني ولا لأ، بس أنا اسمي إسراء، يا ريت نتقابل بكرة عاوزة أتكلم معاك شوية، أنا لما عرفتك اتصدمت بجد أرجوك كلمني بكرة أنا محبتش أدخلك دلوقتي وأنت تعبان"، وكانت قد كتبت رقمها أسفل الرسالة.

نظرتُ للصورة بعدها، ولكني أُصبتُ بألم شديد في الرأس، كانت تلك صورة قديمة لثلاثة أشخاص لا أعلم مَن هُم، حتى قطع محمود حبل أفكاري ودخل الغرفة وكان في قمة الخوف فقلتُ له:

- في إيه تاني بقى؟

- سميرة والدة محمد للأسف ماتت.

- نعم؟ امتى حصل الكلام ده؟

- لِسّه عارف دلوقتي والله وجيت قُلتلك.

فاعتدلتُ على السرير وقلتُ له:

- ماتت إزاي؟

- مش مقتولة لا ماتت موتة طبيعية.

- معتقدش.

- نعم؟

- مش مُهم، أنا لازم أمشي دلوقتي.

- تمشي فين وأنت تعبان؟

- عديني بقى يا محمود انجز.

فقال لي بِنبرة حادة:

- مش هتتحرك مِن هِنا.

فهُنا علمتُ أنني داخل مشهد مُريب آخر داخل عقلي وبدأت بالهلوسة مرة أخرى، ولكني فكرتُ في فكرة ذكية نوعًا ما؛ بما أن الدكتور عبد العزيز يتلاعب بي من خلال مُخدر ما يُسبب الهلوسة فأنا أيضًا أستطيع التلاعب به فكل شيء يدور ويحدث داخل عقلي لذلك يُمكنني التلاعب بالأحداث بداخل عقلي لذلك لنبدأ الهلوسة الحقيقية فقلتُ لمحمود:

- ماشي خلاص هقعد.

فظلّ محمود واقفًا مُحدقًا بي بطريقة مُريبة وأنا أريد أن أتخلص مِن هذه الهلاوس بأي شكل كان فسألت محمود وقلتُ:

- ممكن تجيبلي الساعة اللي جنبك دي؟

- ليه؟

- عاوز أعمل حاجة بس.

- غريب.

فأجبتُ عليه في عقلي وقلتُ: "أنا هوريك الغرابة اللي بجد يا عبد

العزيز".

أعطاني محمود الساعة بالفعل، ولكنني قمتُ بتعديلها للساعة السادسة إلا دقائق معدودة فبدأ الدم يسيل مِن كل أركان الغرفة إلى أن تحولت بالكامل إلى بحر من الدم، فنظر لي محمود وقد تبدلت هيئته إلى نفس الرجل مرة أخرى؛ ألا وهو الدكتور عزيز وقال لي بغضب شديد:

- إيه اللي أنت بتعمله ده؟

- بلعب لعبة معاك وبتحكّم في دماغي؛ لأنها في الأول والآخر دماغي وعقلي مش العكس.

بما أنني تحكمتُ بالوقت يُمكنني التحكم بعبد العزيز أيضًا، فبدأتْ أصوات دقات الساعات والأطفال تعود مِن جديد وفحيح الأفاعي أيضًا، ولكني قلتُ بأعلى صوتي لعبد العزيز:

- المرة دي مش هتعرف تعمل حاجة.

- إزاي مبتتأثرش؟

- أنا هقولك.

فأخرجتُ من خلف ظهري نفس الثُعبان الأسود العملاق، ولكنه حاول الهرب بعيدًا لكي يحصل على الساعة ويُعيدها للسادسة حتى ينتهي كل هذا، ولكني سرعان ما أخرجتُ أيضًا ثعابين أخرى لتلتف حوله مثلما حدث معي تمامًا فاقتربتُ مِنه وقلتُ له:

- إيه رأيك دلوقتي؟

- فاكر نفسك كسبت كده ولا إيه؟

- أنا عارف إنك بتتلاعب كويس بيا وبتموتني بالبطيء بمُخدر بيسبب هلوسة، بس أنت جوا عقلي دلوقتي.

نظرتُ للساعة فوجدت أنه تبقى دقيقتان على أن تكون السادسة فقلتُ له:

- حابب تقول حاجة أخيرة دلوقتي؟

- مش هتعرف تلاقيني مهما عملت.

فشعرتُ بالغضب الشديد فهجمتُ عليه من خلال ذلك الثُعبان الأسود الكبير وقتلته، والآن دقت الساعة السادسة فاختفت الغرفة واختفى كل شيء وبدأت أصوات الأطفال تتحول إلى صُراخ شديد ومُرتفع، ودقات الساعات ارتفع صوتها أيضًا، والثعابين من حولي جميعها تراجعت للخلف واختفت، وكذلك الثُعبان الأسود الكبير،وفجأة توقف كل شيء ودقت الساعة دقة واحدة وأخيرة ورأيتُ ضوءًا ساطعًا مِن بعيد فركضتُ نحوه حتى وصلت إليه وعدتُ لوعيي وأخيرًا قررت الذهاب فوجدت محمود يقول لي:

- تمشي فين وأنت تعبان؟

- أروح أدوّر على إجابات أكتر.

- آجي معاك طيب؟

- لا طبعا مش هتيجي معايا في حتة، أنا آسف إني بتكلم كده بس لا مش هتشاركني المرة دي.

بدت على محمود ملامح مُمتزجة ببعضها البعض؛ فكانت ملامحُه عبارة عن خوف يصاحبه حُزن يصاحبه توتر، وكل ما يشبه ذلك من علامات الغرابة التي تجعل المرء تتكون بداخله شكوك تجاه أقرب الأشخاص له، ولكني لم أكترث وبدّلتُ ملابسي سريعًا وخرجتُ مُسرعًا مِن الغرفة، ولكن وأنا في طريقي للخروج مِن المُستشفى وإذ فجأةً تتلاقى عيناي بعيني شخص ما حتى وقف كِلانا في نفس اللحظة بعكس الاتجاه ونقول بصوت مسموع:

- يوسف؟

- إسراء؟

٧

"إسراء"

تراجع كِلانا حتى وقفنا مُقابل بعضنا البعض فقلتُ في تعجب:

- أنتي نفس البنت اللي ظهرتيلي!!

- وأنت كمان.

فاتسعت عيناي مِن الصدمة وقلتُ لها:

- أنتي كمان إيه؟

- أنت كمان ظهرتلي.

- طب عرفتي توصليلي إزاي؟ عرفتي أنا مين إزاي أصلًا؟

فأجابت وهي تبتسم:

- هو مش أنت صحفي برضو ومقالاتك الأخيرة مكسرة الدُنيا ولا إيه؟

- آه، أيوه صح آسف معلش.

- الغريب إنك عرفتني علطول مع إنك ما شوفتنيش غير مرة واحدة بس يعني.

– كنتي لابسة نفس الفُستان ده عشان كده يمكن عرفتك علطول.

– أنت كمان كنت لابس القميص الكحلي ده والبنطلون الأسود ده.

– طب ممكن نروح أي حتة ونتكلم شوية بدل الوقفة في المُستشفى دي؟

– ماشي.

فجلسنا في حديقة عامة وبدأت إسراء بالحديث وقالت:

– أنا هدخل في الموضوع على طول، أنت تعرف الصورة دي صورة مين؟

– بشبّه على اللي في الصورة دول، بس معرفهمش لا.

– وبعدين بقى!

– أنتي جبتي الصورة دي منين؟ ولّا إيه اللي حصلك عشان تشوفيني زي ما أنا شوفتك؟ أنا مش فاهم حاجة.

– الصورة لقيتها في الدُرج عندي، "هدى" لمّحتلي على الحوار ده وأنا لقيتها بس معرفش مين دول فلما قابلتك في الحِلم أو أيًّا كان اللي بنشوفه ده قُلت يمكن تعرفهم.

– مين هُدى؟

– اللي بتجيلي دايمًا تساعدني.

– نعم؟ زي ياسين بالنسبالي.

- هو مين دول بقى يا يوسف عشان أنا مش فاهمة حاجة؟

- والله ولا أعرف بصراحة زيي زيك.

ولكن لحظة! بدأت تلك الأحداث بعد رؤية جثة محمد، أتذكر أن أول مرة كنتُ أُصيب بها بألم شديد في الرأس بعد رؤية الجُثة فسرعان ما سألتُ إسراء:

- أنتي الأحداث الغريبة والأحلام اللي بتشوفيها دي بدأت تحصل بعد ما شوفتي محمد وهو مشنوق صح؟

- أيوه عرفت إزاي؟

فتمالكتُ أعصابي وأخذتُ نفسًا عميقًا وقلت:

- أنتي اللي كنت في أوضة ٨ يا إسراء؟

- أيوه، لحظة كده!!

فنظرت لي إسراء نظرة شك وقالت لي:

- يبقى أنت أكيد كنت في أوضة ٦.

وتمنيتُ لو لم تقل إسراء تلك العبارة؛ لأنه بعدما قيلت شعر كِلانا بذلك الألم الشديد في الرأس مرة أخرى، واختفت الحديقة واختفت الشمس واختفى جميع الأشخاص مِن حولنا، وها نحنُ أنا وإسراء في المُستشفى مُجددًا، ولكن بهيئتنا وليس بهيئة ياسين وهُدى، ولقد كُنا أمام باب غرفة نوح وكان الباب مُغلقًا فنظرنا لبعضنا البعض وقلتُ لها:

- إيه ده؟

- أنا هعرف مِنين؟

فُتح باب الغرفة ببُطء شديد فدخلتُ أنا أولًا وخلفي إسراء فكانت الغُرفة فارغة تمامًا، ولكن كانت هُناك صورة مُلقاة على الأرض فالتقطتُها ونظرتُ لها وكانت الصدمة في ما بداخل الصورة فسألتني إسراء:

- إيه اللي في الصورة دي؟ مالك بتبصلها كده ليه؟

فأريتها الصورة وأبدت نفس تعابير وجهي؛ حيثُ كان في تلك الصورة ثلاثة أطفال وجوههم غير واضحة على الإطلاق، ولكن هذا ليس الغريب في الصورة، الغريب هو أن هؤلاء الأطفال الثلاثة أموات بنفس الطريقة التي وُجد بها مُحمد، فنادى نوح علينا من الخلف وقال لنا:

- إسراء ويوسف، أنتو إزاي تدخلوا أوضتي من غير إذن مِني حتى؟

فقلتُ له:

- نوح، احنا مش قصدنا أكيد بس...

- مفيش بس، أنتو عاوزين تموتوا زيه ولا إيه؟

فهمستُ لإسراء وقلتُ لها:

- هو يقصد والده.

فنظرتْ لي وهزت رأسها بمعنى أنها تعلم فاستكمل نوح قائلا:

- أكيد أنتو مستغربين إزاي بتشوفوا ده وأنتو صاحيين صح؟ وكمان إزاي عرفت اسمكو الحقيقي؟

فأتى الدكتور عبد العزيز مِن خلفه ووضع يده على كَتف نوح وقال لنا:

- إيه رأيكو دلوقتي؟ ياسين وهُدى قدروا يساعدوكو للأسف وده مش حلو.

فقال لنوح أن يتخلص مِنا وتلاشى بعدها، فأخرج نوح سِكينًا وبدأ في التقدم نحوي أنا وإسراء، فجعلتُ إسراء تقف خلفي، ولكن لا يوجد أي سبيل للهرب أو حتى مجال للحركة، ولكن أتت المُمرضة سُعاد وقامت بحقن نوح في رقبته وقالت لنا:

- بسرعة تعالوا معايا، بسرعة.

فسألتها:

- إيه ده؟ احنا مش فاهمين حاجة.

- بسرعة بس يا ياسين أنت وهدى ادخلوا الأوضة دي ومتعملوش صوت عالي خالص لحد لما أجيلكو.

- ياسين وهُدى؟

فقالت لنا إنها ستذهب للسيطرة على نوح وستعود سَريعًا وكانت

قد أخذتنا لأعلى لطابق آخر، ولكننا لا نعلم في أي طابق نحن، ولكنه كان يحتوي أيضًا على ثلاث غرف، وكانت الغرفة التي كُنا بداخلها تحمل الرقم ٩، ولكنها مليئة بالملفات فقلتُ لإسراء أن نستكشف تلك الملفات لعلنا نحصل على أية معلومات، ولكن كل الملفات فارغة لا تحتوي على أي شيء إطلاقًا ما عدا ملفا واحدا عثرتُ أنا عليه فناديت إسراء وقلتُ لها:

- إسراء، تعالي شوفي ده كده.

فقمنا بقراءة ما بداخله، ولكنه كان يحتوي على أعراض مثل: التفكير المشوَّش،حكة في جميع أجزاء الجسم، أسلوب عدواني، ميول انتحارية، الرغبة في التخلص من جميع البشر، الهلاوس، وبالأسفل يوجد بالخط الكبير عبارة: "النتائج" وتحتها كان مكتوبا الآتي:

"لم نَستطع التعامل مع هذه الحالة فكانت أقوى مِنا جميعًا، اضطررنا للتعامل معها بنفس الطريقة وهي أن الذي لم يَستجب لهذه الجلسات قتلناه؛ فرُبما لن نعود إلى أمريكا مُجددًا، ولكننا نفعل كُل ما في وسعنا للوصول لنفس النتيجة التي أردنا الوصول لها من البداية لمُحاكاة مشروع "MK ULTRA" وهذا جعلنا نُطرد بسبب السرقة، والآن نأمل ذلك حقًا للحصول على المعلومات اللازمة والنجاح، ولكن إن تم عكس ذلك سنضطر لهدم هذا المكان بالكامل، فالقاتل الحقيقي هُنا لرُبما لن نتحمل كل هذا، ولكننا نأمل ألا تخرج الأمور عن السيطرة فعلًا".

فشعرنا نحنُ الاثنان بالصداع الشديد مُجددًا وفقدنا الوعي لينتهي الحال بِنا على الأرض،

لنعود كما كُنا مُجددًا في الحديقة وسألتني إسراء:

- أنا ليه حاسة إني شوفت الكلام ده قبل كده؟

- مش لوحدِك بس أنا عاوز أعرف هل الدكتور عبد العزيز كان فعلًا بيحاول يقلد المشروع ده ويعدّل عليه؟ وأصلًا اتطرد ليه من الأول؟

- هو إيه المشروع ده أصلًا؟

- اِتعمل في أمريكا بغرض السيطرة على عقول الناس، وحاجات زي دي مكانتش تمام وقتها.

- و جِهْ مصر يعمل ده هِنا؟

- ده اللي هيجنني وكمان المصيبة لو كان بيعمل كده في نوح ومحمد، يعني كده بدل المصيبة اتنين.

- ثانية عشان أفهم يا يوسف، يعني دلوقتي ياسين وهُدى دول اللي احنا منعرفش هُما مين لحد دلوقتي بيساعدونا على كشف اللي اسمه عبد العزيز ده؟

- أيوه بس شكل عبد العزيز مسلّط علينا ناس وهو قاعد بيتفرج من بعيد وعارف إننا بدأنا نعرف كل حاجة، ولو بدأ يشك فينا إننا مُمكن نبلغ أو حاجة هيموتنا احنا كمان.

– الحقنة الحقنة يا يوسف!!

– مالها؟

– احنا اتحقنّا بمُخدر بيسبب هلوسة مِش كده.

– أيوه تقريبًا يعني.

– عشان كده عبد العزيز قادر يتحكم فينا لما نكون تعبانين أغلب الوقت بسبب الزفت اللي حقنّا بيه ده.

– أيوه يعني هنعمل إيه برضو مفهمتش؟

وبينما نحنُ نتحدث لاحظتُ أن هُناك مَن يقوم بتصويرنا فقلتُ لإسراء بحرص:

– إسراء إسراء، الراجل اللي قدامنا ده بيصورنا.

– احنا فعلًا متراقبين وشكل الموضوع كبير، يلا نقوم مِن هنا يا يوسف بسرعة أنا همشي دلوقتي ونتقابل وقت تاني.

– ما ينفعش تمشي لوحدِك كده، ممكن المتخلف ده يعمل فيكي حاجة.

– ما تقلقش اِمشي أنت بس عشان نبقى انفصلنا عن بعض.

– تمام امشي وأنا هبصّ عليكي كده عشان لو اتحرك أو عمل حاجة ومشي وراكي.

– تمام مع السلامة.

غادرت إسراء وأنا لم أغفل ثانيةً واحدة، ولكن الغريب أنه لَم يُلاحقها بل كان يستمر بالنظر لي وحسب فاستجمعت كل ما لديّ من قوى وقررت أن أذهب إليه وأتحدث إليه فكان رَجُلًا كبيرا في السن نوعًا ما بعمر الخمسينات تقريبًا، كان شاحب الوجه ذا ملامح باردة تمامًا، كل ما يفعله حينما كنتُ أتجه إليه أنه ينظر للأمام وحسب فجلستُ بجانبه، وقبل أن أبدأ الحديث سبقني وقال بصوت هادئ:

– عاوز تعرف صورتكو ليه مش كده؟

فتعجبتُ من غباء السؤال فقلتُ له:

– حضرتك ده سؤال غبي أكيد عاوز أعرف.

– مش قالكو تبعدوا عن السكة دي؟

– آه أنت بقى تبعه وكده وبتصورنا عشان تبعتهاله؟

– أنا ما كنتش بصورك أنت وإسراء يا يوسف كنت بتأكّد إن ده أنتو؛ لأني كنت بدور عليكو مِن زمان من أول ما شوفت حوار محمد ده.

– هو أنت مش تبع عبد العزيز؟

– لا أنا كنت شغال معاه زمان بس طردني لما عرف إني كنت هبلغ عنه وفضل يهدد فيا كتير.

– ممكن تحكيلي كل حاجة؟

– بص يا يوسف أنا مينفعش أقولك حاجة عشانك أنت بس، كل

اللي هقدر أقولهولك إن الراجل ده استغلالي بشكل مش طبيعي ومؤذي كمان.

ظلّ يحكي مساوئ الدكتور عبد العزيز بطريقة قاسية جِدًا وكأنه كان يُخبئ كل هذا بداخله ولا يبوح بِه لأحد فقلتُ له:

– هو كان بيعذب المرضى؟

– لا كان بيستغلهم عشان يحصل على معلومات مِش أكتر.

– مشروع MK ULTRA؟

– آه دي كانت أسهل طريقة أصلًا يوهم اللي قدامه إنه بيعالجه بس بالعكس ده بيجرب أدويته وجلساته المتخلفة على المرضى.

– وحصلهم إيه هُما وأهاليهم دلوقتي؟

– اللي كان بيحاول يبلغ أو كده كلهم اختفوا.

– مصيرهم كان نفس مصير محمد؟

– محمد ده لوحده حكاية بجد وبرضو مش هعرف أحكيهالك يا ابني والله غصب عني.

فبدأ يتنفس بصعوبة وذلك أثار خوفي بشِدة فقلتُ له:

– خير في إيه حضرتك؟

– مفيش مفيش أنا جيت أطلب طلب واحد، أرجوك حاول تلاقي عبد العزيز ده وتقتله يا ريت.

- أ، أيوه حاضر.

وفجأة تأتي طلقة رصاص تُصيب هذا الرجل في مُنتصف رأسه ليهرع الكل من حولنا ويركضوا من كل الاتجاهات للهروب من المكان وأنا أقع على الأرض وأتجمد في مكاني من شِدة الرعب لا أَعلم ماذا أفعل، ولكن سُرعان ما أتت الشُرطة بعدها لترَاني على الأرض وبدأت الدموع تنهال على وجهي فأخذوني معهم لاستجوابي فقط ليس إلا. انتهيتُ سريعًا وخرجت من مركز الشُرطة وملامحي باهتة ومُحبطة بالكامل فوجدت إسراء واقفة تنتظرني فحينما رأيتها بدأت في البُكاء وقلتُ لها:

- أنا خلاص مبقيتش قادر أستحمل كل اللي بيحصل ده بجد والله تعبت تعبت.

فهمست لي وقالت:

- تعالى نمشي من هنا بس وأنا هقولك أنا اكتشفت إيه.

لم نذهب لأي مكان فقط كُنا نسير في الشوارع وبدأت إسراء تحكي لي كل ما حدث معها بعدما غادرت من الحديقة:

- أنا كنت حاسة إن هيحصل حاجة فما مشيتش.

- عملتي إيه طيب؟

- وقفت أتفرج عليك أنت والراجل ده من بعيد، لفت انتباهي حد كده كان موجود حواليكو وأعتقد إنه اللي ضرب الرصاصة وجري

محمود!!

- مين؟

- محمود اللي معاك في الجريدة وصوّرته كمان.

- نعم؟!

- اتفضل شوف.

إنه محمود بالفعل وكان يقف على مسافة بعيدة وكان يرتدي قُبعة أيضًا ورأسه مُغطاة أيضًا. فقالت لي:

- إزاي بقى؟

- إزاي بقى دي هتصرف معاه فيها. محمود كده جاب آخره معايا لحد كده.

فتذكرتُ أيضًا شيئا ذكرته لإسراء:

- لحظة!! مغطي راسه ولابس نضارة سودة؟

- أيوه ليه؟

- يبقي محمود هو اللي ادّانا الحُقن دي واحنا في الشارع، وهو برضو اللي قتل الراجل ده، مش بعيد يكون هو اللي قتل محمد وإبتسام وسميرة كمان!!

٨

"مُشتبه به"

اتصل بي محمود، ولكنني لا أعرف ماذا يجب أن أقول له وتوترت بشِدة،كيف لمحمود أن يفعل كل هذا؟ كيف؟ فقالت لي إسراء:

- رد عليه عادي متخليهوش يحس إنك عرفت حاجة.

- ماشي.

فأجبت وقال لي بنبرة قَلِقة وكأنني لا أعلم ما يُخفيه فعلًا:

- يوسف، أنت كويس؟

- آه عاوز حاجة؟

- إيه؟ لأ لأ كنت بتطمّن بس.

- تمام.

- أنا آسف معرفتش آجي والله كنت في مشاوير من الصبح بعملها.

- تمام.

فأغلقتُ أنا الخط أولًا فأنا لا أُريد أن أَسمع منه كلمة واحدة حتى، كيف يتحول صديقي فجأة لقاتل؟ ولِمَ يحاول تضليلي عن كل

إجابة أحصلُ عليها؟ هُناك الكثير مِن الأشياء لم أفهمها بعد وهذا غير مُطمئن على الإطلاق، فطلبتُ من إسراء أن تُغادر الآن فأنا أريد أن أذهب للجريدة؛ لأنني في الفترات والأيام السابقة تغيّبتُ بسبب مرضي وقضاء بعض الأيام في المُستشفى، والآن أنا في قسم الشُرطة، يا إلهي، ما الذي يحدُث حقًا أشعر وكأن هذا الكابوس لن ينتهي أبدًا أو سيدوم طويلًا، أتمنى لو لم أهتم بتلك القضية فعلًا من البداية، ولكن إحساسي كان يؤكد لي أن هُناك سرًّا وراء مقتل محمد، فمحمد لم ينتحر من الأساس بل تم إعطاؤه سُمَّ السيانيد وتم اللعب في مسرح الجريمة وكأنها انتحار، الآن يجب أن أواجه محمود، ولكن كيف سأقوم بفعل ذلك؟ يجب ألا أتهوّر أو أتسرّع في الحُكم رُبما محمود مُهدد بالقتل أو أي شيء مِن هذا القبيل من قبل عبد العزيز هذا، حسنًا سأتوجه للجريدة الآن وأرى ما سيحدث بعد ذلك.

في طريقي للجريدة سمعتُ آية من القرآن الكريم مِن سورة المائدة وكانت: "يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (المائدة – ١٦).

فاستبشرتُ خيرًا لعلها رسالة من الله لي على أن كل هذا سينتهي قريبًا بإذنه، وصلتُ للجريدة وكان محمود بداخل مكتبي فهَبّ مُسرعًا تِجاهي وكان عقله مشوشا تمامًا وخائفا فقلتُ له:

– خير يا محمود مالك؟

- بصراحة أنا خايف أوي لحسن أموت.

- نعم؟

فبدأ بالبُكاء أمامي وقال:

- أنا مش عاوز أموت يا يوسف مش عاوز أموت.

فتنهدتُ تنهيدة كبيرة وقلتُ له:

- قتلتهم ليه يا محمود؟

فتعجب من السؤال ونظر لي وقال:

- أنت عرفت؟

- أحب أفهم منك كل حاجة ودلوقتي.

فدخل علينا الأستاذ إيهاب وقال بعصبية شديدة:

- إيه الجمال اللي أنا شايفه ده؟ واحد غايب بقاله كتير عن شُغله وكان لِسّه في القِسم ولازم يكتب ويوضح اللي حصل، بس لا طبعًا ولما جه يشرف قاعد بيتكلم مع زميله اللي هو كمان بقاله فترة مقالاته زي الزفت ومش مركز.

فقلتُ له:

- احنا آسفين يا أستاذ إيهاب.

- آسفين؟ لو استمريتوا كده مش هتكملوا معايا.

وخرج وتركنا، فقلتُ لمحمود:

– نخلّص الشُغل وهاخدك نقعد عندي شوية تحكيلي في إيه وبكل صراحة من غير ما تخبي عني حاجة يا محمود.

– حاضر.

بعد مُغادرة محمود من مكتبي بدأت التساؤلات تتراكم في عقلي بكميات أكبر هذه المرة، ولكن أول ما فعلته أنني اتصلتُ بإسراء على الفور لأحكي لها ما حدث، ولكنها أخبرتني أنها قَلِقة جدًا، ولكني جعلتُها تطمئِن وقالت لي في الأخير أن أحكي لها ماذا قال محمود لي بعد أن ننتهي وأغلقتُ معها بعد ذلك، ولكني بالطبع لم أستطع التركيز أبدًا في العمل والأحداث الغريبة كانت تتصدرها مقتل ذلك الرجُل، وأنا قمتُ بالكتابة عنها وسرد كُل ما حدث وبالطبع الكثيرون تعاطفوا معي وشهود كثيرون قالوا إنني لم أفعل أيّ شيء وذكرتُ أنني لا أعرف هذا الرجُل، ولكنه كان يتحدث معي كأي مواطن آخر وكان يطلب مني المُساعدة،بالطبع لن أقول إنه كان يتحدث معي عن عبد العزيز، وبالطبع لا أعلم إن كان يتوجب عليّ الإبلاغ عن محمود أم لا أو أنتظر أن أسمع ما يقوله وأقوم بالإبلاغ عنه بعد ذلك، حقًا لا أعلم وأنا في حيرة مِن أمري الآن.

انتهيتُ من العمل اليوم وحان وقت المُغادرة، ولكنني لم أجد محمود في مَكتبه فسألت عم عبده قال لي إنه سبَقني وغادر وينتظرني بالأسفل فتعجبتُ حينها كيف لمحمود أن يكون خائفًا مِن أن يقتله أحد ولا

ينتظرني حتى لنَنزل سويًا على الأقل من السهل جِدًا أن يأتي أحد مِن خلفه ويقتله أو أي شيء من ذلك مثلما حدث معي فسمعتُ صوت ياسين يقول لي:

- قال يعني أنت عرفت تتصرف لما كنت لوحدك،

واختفى صوته بعد ذلك فرددتُ عليه بصوت مسموع:

- على فكرة أنا ما كنتش أعرف إن ده هيحصل لكن دلوقتي بقينا عارفين إن مُمكن يحصل أي حاجة في أي وقت كمان.

فخاف عم عبده وتراجع للوراء وهو يقول لي:

- بسم الله في إيه يا أستاذ يوسف؟ حضرتك بتكلم مين وبتبص حواليك ليه؟

- يوووه بقى مفيش مفيش عديني كده.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، كلكو اتلبستوا تقريبًا ما عدايا لسة.

نزلتُ مُسرعًا فرأيتُ محمود يتلفّت حول نفسه وينظر لأعلى وأسفل وفي كل الاتجاهات ولما رآني قال لي:

- أنت اتأخرت كده ليه؟ يلا بينا بسرعة.

- أنت اللي...

- يلا يا يوسف مش وقته بقى كلام.

ركبنا السيارة، ولكن لماذا محمود متوتر بهذا الشكل؟ ولِمَ هو في عجلة

هكذا؟ حتى إنه لم يتفوه بكلمة واحدة طول الطريق فكسرتُ حاجز الصمت أنا وقلتُ له:

- إيه مالك مش على بعضك ليه؟

- خايف.

- من إيه؟ عبد العزيز؟

- إيه حتى ده كمان أنت عرفته؟ شكلك عرفت حاجات كتيرة عنه.

- وده يهمك ليه؟ أنت كنت بتخبي عني حاجات كتيرة أنا كمان هخبي عنك حاجات كتيرة.

لابُد أنني استثرتُ غضبه فوجدته صرخ في وجهي وقال:

- خلاص بقى يا يوسف خلاص.

- أ، ماشي.

- اِنجز بقى عشان ألحق أحكيلك قبل ما يحصلي حاجة.

وسرعان ما دخلنا للمنزل، ولكن محمود دخل أولًا فأغلقتُ الباب واستدرتُ فوجدت في يده حُقنة وقال وهو يبكي:

- دي هتعرفك كل حاجة.

- استنى بس أنت هتعمل إيه؟ إيه دي إيه دي؟

فصرخ محمود في وجهي وقال:

– متحاولش تمنعني أحسنلك أنت فاهم ولا لأ؟ أنا مبقيتش قادر أستحمل أكتر من كده، أنا مالي أصلًا بيك وأبقى صاحبك ليه من الأساس وأنا أصلا معرفكش؟

– نعم؟

– أنا تعبت منكو كلكو.

دخلت تلك الكلمات إلى رأسي فجعلته ينفجر من شِدة الألم فلقد أتى الشعور بالصداع مُجددًا فاستغل محمود هذا وهجم عليّ، ولكني حاولت مَنعه لأشعر بعدها بوغز في عُنقي مرة أخرى لأقع على الأرض وهذه المرة أنا في منزل غريب وأرى ياسين يصرخ بشِدة لسيدة ما ورجل وجوههم غير واضحة أيضًا ويقول:

– أنا كل يوم بعيط بسببهم وخلاص مبقيتش قادر أستحملهم كُلهم، كُلهم اتخلّوا عني حتى أنتو كمان مع إنكو أهلي والمفروض تخافوا عليا أكتر من كده، إلا أنكو مكنتوش بتهتموا بيا من الأساس، محدش كان بيحبني لا في المدرسة ولا في البيت ولا في أي حتة خالص، ولما طلبت منكو طلب زي ده تقولوا عليا بخرّف ومجنون؟ بعد كل ده تقولوا عليا مجنون؟ أنتو كلكو اللي مجانين ومحدش فيكم بيحس بينا احنا اللي في نظركو بنبقى مجانين لكن أنتو المرضى الحقيقيين مش احنا خالص.

فقام ياسين بالصُراخ بصوت عالٍ جدًا جعل كل شيء يختفي مِن حولنا ونظر لي وهو يتوجه لي بخطواتٍ لم أتعدها منه سابقًا، وبدأت ملامحه تظهر وتتضح شيئا فشيئا ونظر في عيني بنظرات غاضبة وقال:

- يا تساعدنا يا هنموت كلنا بأسواء طريقة ممكن تتخيلها في حياتك.

اختفى ياسين واختفى كل شيء ولم يتبقّ سوى أنا والعدم والألم الشديد الذي كاد أن يُفجّر رأسي حرفيًا، والآن يتغير كل شيء وتظهر مشاهد مُختلفة وأسمع أصوات صُراخ وصعقات كهرباء وأرى أشخاصا حولي يرددون اسم ياسين مرارًا وتكرارًا، وتستمر المشاهد في الحدوث مع الأصوات لأجثُو على ركبتيّ وأضع يدي على رأسي مِن شدة الألم، وأغمض عينيّ بشدة لترتفع أصوات تلك الأشياء كلها رويدًا رويدًا، وأنا كدتُ أن أموت حقًا، ولكني فجأة استجمعتُ قواي ووقفت مُجددًا وقلتُ بصوت عالٍ:

- أنا ياسين.

فتوقفت كل الأصوات من حولي وكل المشاهد لأغمض عينيّ وأفتحهما مرة أخرى لأجد نفسي أمام بوابة لونها أبيض محفور عليها باللون الأسود عبارة: "مُستشفى عبد العزيز للأمراض العقلية والتأهيل النفسي"، وبجانب البوابة لوحة مكتوب عليها العنوان بالكامل، ولكنه غير واضح على الإطلاق ويوجد ذلك الضباب، ولكن كل ما هو واضح أنها بالقاهرة، ليختفي كل شيء مُجددًا وأستيقظ على مشهد مُرَوِّع أمامي في منزلي فمحمود مُستلق على الأرض وأمامه بركة من الدم؛ فلقد كان مُصابًا بطلقة في الرأس أيضًا وكانت الحُقنة على الأرض هي والمُسدس فحصلتُ عليها وخبّأتها بسرعة داخل جيبي، وكانت توجد في يده اليُمنى ورقة كانت تحتوي على:

"أنا آسف إني خبيت عليك كل حاجة قبل كده يا يوسف، بس أنا أصلًا مَسْمِيش محمود ولا أنا كنت صحفي ولا حاجة، أنا وإبتسام وكل اللي ماتوا دول بما فيهم محمد كلنا كُنا تبع عبد العزيز، ومحمد للأسف افتكر كل حاجة بسبب النوتة الدهبية اللي لقاها بطريقة ما، يا ريت أنت كمان تفتكر كل حاجة قبل ما عبد العزيز يعمل فيك حاجة، ده مجنون ويا ريت تخلص منه لو عرفت، أنا هبقى خطر عليك لو قُلتلك أكتر من كده، أنا هقتل نفسي، وعمومًا أنا حاطط الموبايل ورا على السُفرة يصور فيديو كدليل إني قتلت نفسي عشان محدش يتهمك، لما تصحى وقّف الفيديو، آخر حاجة أنا اتبسطت بصُحبتك فعلًا وآسف إني مش هكون موجود عشان أعرف مخلكش زعلان من طريقتي معاك، بس أرجوك متخليهوش يضحك عليك زي ما ضحك علينا كُلنا وأذانا نفسيًا وجسديًا وكل حاجة، أنا آسف يا يوسف".

حصلتُ على الهاتف وخبأت الرسالة في جيبي أيضًا وأنا مُتمالك نفسي بصعوبة عن البُكاء حتى تراكمت الدموع جميعها في عيني، وقصصتُ اللقطة التي أُخفي بها الحقنة والرسالة وحفظتُ فقط لحظة طلق الرُصاص، ولكن قبل أن أبلغ الشرطة كانت قد أتت بالفعل بفضل الجيران الذين سمعوا صوت طلقات النار وقاموا بالإبلاغ بسرعة، ولكن قبل أن يعتقلوني أريتهم الفيديو المُسجّل فأخذوني للاستجواب مرة أخرى وأنا كنتُ في حالة يُرثى لها فعلًا، كانت حقًا أسئلة سخيفة رغم وجود دليل، ولكني بالأخير غادرت وعدتُ للمنزل ونظّفتُ المكان سريعًا وألقيتُ نفسي على السرير وبدأت في البُكاء، لم أستطع

الصمود أمام كلِّ تلك الأحداث وكل هذه المناظر الغريبة، وكل الذين يحملون معلومات قد ماتوا بسبب هذا المُختل.

اتصلتُ بإسراء فكانت الساعة حينها التاسعة مساءً فقلتُ لها وأنا أبكي:

- إسراء، خلاص أنا جبت آخري من كل حاجة، بجد عاوز أصلح كل حاجة ومش عارف مش عارف فعلاً أتصرّف إزاي، حاسس إني خسرت كل حاجة؛ أمي وصاحبي ويمكن شغلي برضو، خلاص خلاص مبقاش في حاجة تانية مخسرتهاش.

كانت إسراء على الجانب الآخر تستمع لي وأنا يُمكنني سماعها وهي تبكي أيضًا، ولكنها خرجت عن صمتها وقالت بصوت حزين:

- هنلاقيه يا يوسف هنلاقيه والله، وهناخد حق كل الناس دي اللي هو كان السبب في موتها، هناخد حقنا وحق التعب اللي سببهولنا والأذى الفترة دي كُلها، هنلاقيه.

- أتمنى، ممكن أطلب منك طلب؟

- أكيد.

- نتقابل بكرة ضروري في حاجات شوفتها وعرفتها لازم تشوفيها عشان نوصل لخيط يوصلنا لعبد العزيز ده.

- تمام.

بعد إنهاء المُكالمة فكرتُ فيما سيحدث الآن وما هي الخطة التالية، وهل إذا نمتُ ماذا سأرى هذه المرة؟ فأنا أشعر وكأنني مُدمن.

أخرجتُ الحقنة من جيبي، ولكنها خالية من أي كتابات، ولكن بالتأكيد هذا عقار ما يؤدي للهلوسة ورؤية أشياء خيالية لا علاقة لها بالواقع من فِعل هذا المريض، بالتأكيد ياسين هو مَن يُساعدني في كل هذا، كل ما سأفعله الآن هو النوم ورؤية مُغامرة ودليل جديد.

٩

"مَنْ أنا؟"

الآن أنا في المُستشفى في غُرفتي وباب الغُرفة مُغلق ولا يُمكنني فتحه والخروج، حسنًا لمَ أتيتُ هُنا إذن؟ فالتفتُّ حولي لأتفحص الغُرفة التي تحتوي فقط على شُبّاك أبيض كبير والزُجاج شفاف ومروحة وكومدينو صغير فارغ وسرير، ولكنني لاحظتُ عند بداية السرير كانت توجد مُذكرات وكان مكتوبًا على الغلاف الخاص بها: "مُذكرات ياسين" ففتحتُها، ولكن مُعظم الكلام كان غير واضح على الإطلاق، ولكن كانت هُناك ست صُفحات، كل صفحة تحتوي على عنوان مُختلف، الأولى كانت بعنوان: "أول يوم"، وكان مكتوبًا فيها: "أنا كعادتي مفيش حد كان بيحبني حتى صُحابي، وأنا معرفش ليه بيعملوا كده معايا؟ المفروض أنا في فترة يكون عندي فيها صُحاب بس ده مكانش بيحصل، حتى إسماعيل سابني ومشي واتخلّى عني أول لما عرف إني دخلت المُستشفى وبعتلي رسايل مكتوب فيها إنه مش هيكمّل معايا بدون حتى ما يكتب سبب مُحدد".

الصفحة الثانية بعنوان: "مرضى"، وكان مكتوبًا فيها: "كل الناس هنا فرحانة ومبسوطة، قابلت دكتور اسمه عبد العزيز طيب جدًا واتكلم معايا وادّاني دوا كمان حسيت بعد لما أخدته إني مبسوط بصراحة نوعًا

ما يعني، بس الغريب لما سمعت صوت حد بيصرخ لقيته اتوتّر ومشي، غاب نص ساعة عليا وأنا معرفش هو كان فين ولما جه سألته قال إن مريض حاول يهجم على مُمرض بس لحقوه، وبصراحَة أنا مصدقتش؛ لأن الشخص ده كان بيعيط جامد وبيقولهم سيبوني سيبوني".

الصفحة الثالثة بعنوان: "نوح"، وكان مكتوبًا فيها: "نوح ده أول لما شوفته حسيته غريب، كفاية الطريقة اللي قابلنا بعض بيها، بس لما اتكلمت معاه حسيته شبهي أوي في حاجات كتيرة؛ أولها إن باباه مُتوفّى من زمان زيي في أولى إعدادي كده، ربنا يرحمه عربية خبطته، طلع طيب أوي عمومًا، بس الراجل اللي وداني الأوضة أول مرة كل يومين بياخده مكان نوح بيرجع بعدها حد تاني خالص وبيزعقلي ويعيط، بعدها ألاقيه بيتأسفلي ويطلب مني أساعده وأنا نفسي أساعده بجد بس أنا علطول في أوضتي ومش بخرج منها، ونادرًا لما بقابل دكتور عبد العزيز ده، ونوح هو اللي بياخدوه كتير".

الصفحة الرابعة بعنوان: "هُدى"، وكان مكتوبًا فيها: "هُدى دي لِسّه جاية النهارده بس دي علطول واقفة قدام الحيطة في أوضتها بتعيط، بس لما جيت أتكلم معاها اتكلّمت معايا عادي وطلعت في أولى ثانوي، أنا كنت رايح تالتة وقتها؛ لأني روحت المُستشفى بعد تانية ثانوي، ونوح كان من قبلي موجود، بس نوح كان مطول لدرجة إنه بقاله سنتين هنا، يعني هو المفروض في نفس عُمري ورايح زيي تالتة ثانوي، هُدى طلعت طيبة أوي هي كمان، لما سألتها جت هِنا ليه أو بتحس بإيه قالتلي إنها

من كتر الزعل بقت تشوف شخص خيالي كده وتتكلم معاه وتضحك وتهزر معاه، بالإضافة إنها موسوسة بطريقة مش طبيعية، واتصنّفت بإن عندها OCD وعلطول شايفة إن محدش بيحبها، حتى صحابها برضو اتنمروا عليها هي كمان؛ لأن شافوها مجنونة وبتتكلم لوحدها كتير، بس الشخص ده اللي كانت بتشوفه بتقول إنه كان أحسن من مليون صاحب عندها، بس دلوقتي هي لوحدها وبتعيط كتير والشخص ده مبقاش يظهرلها تاني ".

الصفحة الخامسة بعنوان: "دم"، وكان مكتوبًا فيها: "أنا بقى في حاجات كتير مش قادر أفتكرها وحاسس إني مصدع أغلب الوقت، حتى لما أقرأ الصفح اللي فاتت، في لحظات كتير طايرة من دماغي، أنا تعبان أوي وسمعت إن المُستشفى هتتقفل قُريب وأنا ولا نوح ولا هُدى فاهمين حاجة".

الصفحة السادسة بعنوان: "ستة"، ولكنها كانت تحتوي على عبارة مُتكررة وهي: "الساعة ستة".

وفجأة وبعد الانتهاء مِن قراءة كل هذا أسمع صُراخًا يأتي من الخارج لأركض وأفتح الباب وكان مفتوحًا هذه المرة لأجد هُدى على الأرض تبكي بشدة ومُمرضون كثيرون يقفون أمام غرفة نوحٍ فذهبتُ لأرى ماذا يحدث، فوجدت نوح يتدلى من السقف وكان مشنوقًا، وكان هُناك ورقة على الأرض فركضتُ لأحصل عليها وحصلتُ عليها بالفعل فدخل المرضون ليخرجوني وجلستُ بجانب هُدى على الأرض وقلتُ لها:

- هُدى نوح باينّه ساب الرسالة دي.

فردت وهي تبكي وقالت:

- اِفتح نشوف فيها إيه.

فقرأناها سويًا وكان مكتوبا الآتي:

"ياسين وهُدى، قبل أي حاجة لو قرأتوا الرسالة دي يبقى أنا مش موجود، قبل أي حاجة فعلًا أنا حبيتكو أوي وأنتو كنتوا صحابي بجد، احنا التلاتة كُنا صحاب بمعنى الكلمة، الدكتور عبد العزيز أنا كشفته خلاص وكشفت حاجات عنه كتيرة بس هو هيموتني لو اتكلمت، أرجوكو اعملوا أي حاجة، أرجوكو خدولي حقي منه أرجوكو، وبلغوا عنه، ده بيعذبني عشان بس يوصل لمشروعه ويرجع أمريكا تاني عشان يسامحوه بعد ما سرق منهم حاجات، من زمان عاوز يرجع تاني ويغطي عليهم بكل اللي هو وصلّه أرجوكو وقّفوه".

فاستمرت هُدى بالبُكاء وكانت تحمل صورة في يديها، وكانت تلك صورة لنا نحنُ الثلاثة وكانت الوجوه واضحة فتراجعت للوراء من الخوف الشديد وبدأت في البُكاء والصُراخ من هول ما رأيته.

اختفى كل شيء وأنا على الأرض، لا أستطيع التوقف عن البُكاء، كيف لهذا الشخص الذي في الصورة أن يكون أنا كيف؟ أتى لي ياسين وملامحه واضحة هذه المرة وقف أمامي وبدأ في البُكاء وقال:

- أخيرًا يا ياسين.

- أنا مين؟

- أنت ياسين أنت ياسين مش يوسف صدقني.

- إزاي إزاي؟ أنا مروحتش مُستشفيات ولا روحت في حتة ولا أي حاجة، إزاي كل ده بيحصل إزاي؟

- احنا قرّبنا أوي خلاص للنهاية، عاوز تعرف القصة كاملة لازم تروح المُستشفى وتفتكر بنفسك يا ياسين اللي حصل.

- أنا معرفش مكانها معرفش معرفش.

- لأ أنت تعرف، مش طول عمرهم بيقولولنا إننا كُنا الصفحة السودة في حياتهم واحنا صغيرين؟ مش كانوا بيقولولنا إننا الشخص السلبي اللي بيخلي سفينتهم تغرق؟ واحنا برضو اللي كانوا بيزعلونا بالأيام والشهور والسنين.

- مين دول؟

- اللي حوالينا يا ياسين اللي لولاهم ما كانش حصل كل اللي احنا فيه ده، كل اللي حوالينا ما كانوش بيحبونا يا ياسين للأسف، احنا الناس كلها استغلتنا، افتكر اللي كان بيحصلك في المدرسة بسبب عاطف، وافتكر إسماعيل اللي قرر يمشي بدون سبب، وافتكر لحظة دخولك للمكان اللي غيّر حياتنا كُلها يا ياسين، افتكر أرجوك.

- يعني مفيش حد اسمه يوسف من الأساس؟

- للأسف أيوه.

- لكن دلوقتي، الساعة ٦ وقت ما نوح مات بها إنك عرفت أنت مين أخيرًا أنا مبقاش ليا لزمة خلاص، قبل ما أمشي عاوز أطلب منك طلب.

اقترب مني ياسين وقال لي الطلب وبعدها اختفى كل شيء، واستيقظتُ أنا وكانت الدموع تُغطي الوسادة وكانت الساعة السادسة صباحًا، فَرَنّ هاتفي وكانت إسراء فأجبتُ سريعًا، ولكنها لم تنطق بحرف واحد فقلتُ لها:

- إزيك يا هُدى.

- إزيك يا ياسين.

١٠

"بداية النهاية"

طلبتُ من هُدى أن نتقابل وفي الحال وافقت، فقررنا أن نتقابل بعد ساعة من الآن ونحصل على كل ما استطعنا الحصول عليه لربط الأحداث ببعضها البعض.

أخذتُ معي النوتة الخاصة بنوح وهي أخذت الصورة التي عثرت عليها، ولكن هذه المرة تقابلنا عندي في منزلي للأمان أكثر، فدخلت المنزل ولكنها شعرت بذلك الدوار فقلتُ لها:

- مالك في إيه؟

- مش عارفة، حاسة إن دماغي وجعتني فجأة.

- هُدى، احنا إزاي بيحصلنا اللي احنا فيه ده؟

- مش عارفة والله مش عارفة.

- أنتي سألتي حد من أهلك على اللي حصل ده؟

- ماما قعدت تعيط وقالتلي إنها مش هتقدر تتكلم، لما سألتها مين هُدى؟ وهل دي أنا فعلًا ولا لا؟

- إزاي قضينا فترة مهمة من دي في حياتنا واحنا بأسامي مختلفة؟

إزاي كل ده حصل؟

– شهادات الميلاد، بص في شهادة ميلادك كده.

فأحضرتُها، ولكن كان الاسم المكتوب هو يوسف وليس ياسين فقالت هُدى:

– احنا أهالينا خبوا عننا حاجة زي دي ليه؟ واحنا حصل فينا إيه عشان ننسى كل ده؟

– ده برضو يفسر صعوبة إننا نفتكر أي حاجة والصداع اللي بنحس بيه.

فتذكرت شيئا مُهماًّ وذهبت لإحضار دفتر المُلاحظات خاصتي وقلت لهُدى:

– إسماعيل قالي إننا كنا في ٢٠١٢ وقتها في المدرسة، وأنا مواليد ١٩٩٦ ، واحنا في ٢٠٢١ دلوقتي، يبقى لحظة!

– أنت كنت في المدرسة دي وقتها!!

– ياسين كان بيوريني كل اللي حصل بس إزاي حاجات زي دي أنساها؟

– طيب طيب لحظة، إيه علاقة محمد بالموضوع أصلًا؟

تذكرتُ كلام والدة محمد أنه ذهب لمستشفى الدكتور عبد العزيز وكان يُردد أنه كان السبب، فنظرتُ لهُدى بصمت وهي استطاعت

قراءة عيني فقالت:

- محمد هو نوح؟

- حاسس كده، بس نوح اتوفّى قبل محمد بكتير وقتها.

- وهنروح بعيد ليه هات الصورة بتاعة محمد وأنا معايا صورة نوح لما كُنا احنا التلاتة فيها.

فقارنا الصورتين ببعضهما البعض، ولكن لا يوجد تشابه بينهما على الإطلاق فقالت:

- احنا الاتنين بدأنا نحس بالصُداع لما شوفنا شكل جثة محمد وبعدها كل الأحداث دي حصلت، ممكن بدأنا نفتكر كل حاجة لأن كانوا الاتنين ماتوا بنفس الطريقة؟

- مُمكن.

- دلوقتي الحل إيه يا ياسين؟

- أنا حاسس إحساس غريب وأنت بتقُوليلي ياسين وأنا بقولك هُدى.

- مش لوحدك، دلوقتي لازم نوقع عبد العزيز ده بأي شكل.

لا يوجد أي طريقة أخرى للإيقاع بعبد العزيز سوى الذهاب للمُستشفى، ولكن كيف سنذهب إليها دون معرفة موقعها حتى؟ فقلتُ لها:

- أنا شوفت البوابة بس وكانت في القاهرة مش برا زي ما نوح قالي.

- ماشي بس فين؟

- أنا فاكر إن والدة محمد قالتلي إنها كانت ورا البيت عندهم وفي مكان بعيد وحتة مقطوعة كده شوية.

- ما شاء الله، مستشفى في مكان زي ده؟

- على أساس إنها مُستشفى بجد يعني.

- حلو هنروح امتى؟

- النهارده بليل إن شاء الله الساعة ٨، دلوقتي هروح أتأكد من حاجة ونتقابل على ١١ بليل نروح ندور.

- ١١ بليل؟

- عشان محدش يشوفنا يعني سواء بوليس أو خلافه.

أوصلت هُدى لمنزلها ثم اتجهت لمنزل جدي وجدتي ولحسن حظي أنني كنت أمتلك المُفتاح الخاص به؛ لأنني وعلى ما أتذكر كان هُناك صندوق خشبي صغير نوعًا ما كانت تحتفظ به أُمي في مكان ما، فتوجهت سريعًا لهُناك، ولكنني بعدما دخلت للمنزل لم أشعر بالارتياح نوعًا ما، فأحسستُ أن أحدًا كان هُنا بالفعل، دخلت غُرفة أُمي القديمة، ولكنني لم أعثر على شيء فسمعت صوتا قادما من خلفي يقول لي:

- بتدوّر على ده صح؟

فنظرتُ خلفي وكان هُناك رجُل يرتدي بدلة بُنية اللون، وكانت ملامحُه واضحة فكان شعره أبيض جدًا والتجاعيد تمكنت من وجهه، وعلى وجهه ابتسامة في غاية الشر، وأنا بعد رؤيتي له شعرتُ بالصُداع مرة أخرى، ولكنني لم أفكر كثيرًا وركضت نحوه، ولكنه سرعان ما أخرج حقنة من جيبه وقال:

- مش بالسرعة دي يا... تحب أقولك يوسف ولا ياسين؟

- أنت عملت إيه يا مريض فينا كلنا؟

فتغيرت الابتسامة فجأة إلى ملامح قاتمة سوداوية وقال بصوت عالٍ:

- أنا ما عملتش حاجة حرفيًا، الغبي اللي اسمه نوح هو السبب في كل حاجة، مع إنه كان مُمكن أخليه يعيش زيكو عادي، بس للأسف حاول يخدعني وما كانش قدامي حل غير إني أموته.

- أنت كنت بتستغل مرضنا النفسي لمصلحتك الشخصية وبتعذبنا!

فضحك ساخرًا وقال:

- أعذبكو؟ بزمتك أنت كنت فاكر ولا عارف حاجة؟ ده لولا حادثة محمد كان زمانك عايش حياتك ومُت كمان وأنت ما تعرفش حاجة.

- وكل المرضى التانيين فين؟

- كل اللي افتكروا كل حاجة دلوقتي مبقوش موجودين هُما والناس

اللي يعرفوهم كمان.

– أنت قتلتهم كمان؟

– أنا مبقتلش حد، أنا بقف أتفرّج من بعيد وبس.

– والله أنت المريض مش احنا!

– مين قالك إني دكتور؟ أنا كنت عاوز أوصل لحاجة مُعينة، ونوح كنت خلاص قربت أوصل معاه لكل حاجة بس للأسف كل حاجة باظت على آخر ثانية عشان غبي زيك بالظبط أنت وإسراء، قصدي هُدى.

– متجيبش سيرتها على لسانك القذر.

– حبيتها ولا إيه يا ياسين؟ طبعًا مش فاكر أيامكو مع بعض ومش هتفتكرها خالص أوعدك.

فحاولت إثارة غضبه بأي شكل حتى أستطيع الاتصال بهُدى حتى تسمع ما يحدث فقلتُ له:

– أنت اتطردت عشان سرقت معلومات عن المشروع صح؟

فالتفت لي واقترب مني ببُطء وأنا أُخفي الهاتف وراء ظهري وقال بنبرات حادة:

– أنا ما سرقتش حاجة، هُما اللي مستغلوش العبقرية بتاعتي؛ لأني كنت هساعدهم يعرفوا كمية معلومات محدش كان يتخيلها عن

أعدائهم وأي حد يتخيلوه في لمح البصر وأمسح هوية أي حد كمان.

أتوقع هُدى قامت بسماع كل هذا فقلتُ له:

- أنا بس جيت هِنا عشان حاجة واحدة، عشان أقولك إنك المرة دي مش هتكسب.

فلكمته في وجهه وكان هُناك آلة حادة على الطاولة فحصلتُ عليها بسرعة وقمتُ بضربه بها حتى سقط على الأرض، وأخذت الحُقنة وقلتُ له وأنا أصرُخ في وجهه:

- جه الوقت إنك تجرب شوية هلاوس من بتاعتك وتدخل عالم الجحيم اللي حطيتنا كُلنا فيه.

حصلت على الصندوق وهربت مُسرعًا لمنزلي، وكانت هُدى قد اتصلت بي مرات عديدة فتحدثتُ إليها وأخبرتها كل ما حدث هُناك، ولكنها لم تطمئن بعد لفكرة الحُقنة تلك، ولكني لا أعلم لماذا هي تشعر بالقلق حيال هذا الأمر؟ ولكن لا يُهم فلو كُنا نريد التخلص من كل هذا حقًا يجب أن نُخاطر ببعض الأشياء حتى لو على حساب أنفسنا، فأنا كدتُ أن أحصل على جرعة من هذا العقار الغريب.

فتحت ذلك الصندوق وكما توقعت توجد شهادة الميلاد القديمة بها اسم ياسين، إنه أنا بالفعل! وعِدة صور قديمة لي لا أتذكر صراحةً متى تم التقاطها أو حتى أين، ولكن أتى ذلك الشعور بالصُداع، نظرتُ للساعة فكانت الثالثة عصرًا ففكرتُ أن أرتاح قليلًا قبل الذهاب لذلك

المكان الملعون في الليل، وأيضًا لعلي أجد ياسين مرة أخرى فأنا أودّ وبشدة التحدث معه قليلًا قبل بدء أي شيء، تناولت بعضا من الدواء المُهدئ ليساعدني على الاسترخاء والنوم، وبدأ مشهد جديد فإني أرى نفسي في منزل غريب أمام ياسين، ولكنه لم يقل أي شيء، فقط كان ينظر لي بنظرات عادية وباردة تمامًا فقلتُ له:

- ياسين؟ إيه مش بتتكلم ليه؟

- قبل ما تعمل أي حاجة أنا عاوز أوريك حاجة أخيرة.

- إيه هي؟

- هتعرف دلوقتي.

اختفى ياسين واختفى المنزل والآن أنا في غرفة أحدهم، ولكن ليست في المُستشفى، إنها غرفة في مكان آخر وكان هُناك مكتب صغير عليه عدة أوراق فحصلتُ عليها وبدأت في قراءتها فكان بداخلها الآتي:

"أنا بجد الدم بتاعي ممكن يعالج أي حد؟ اتصدمت لما لقيت اللي حصل ده قدامي بجد، ما شوفتش حاجة زي دي قبل كده".

ولم أُكمل قراءة لتختفي الأوراق وأرى أنني في مُستشفى، ولكنها ليست السلام ولا حتى تُشبه المُستشفى النفسية، إنها مكان آخر تمامًا وكان هُناك شاب بعمر الثلاثين على ما أعتقد يتم سحب دم منه بكميات كبيرة جدًا وهو فاقد الوعي تمامًا، ولكني حقًا لا أعلم من هو حتى لم أُصب بالصُداع، ويظهر هذا الشاب وهو يتحدث مع سيدة رُبما تكون

زوجته وكان الحوار كالتالي:

- أنا مش فاهمة أنت بتعمل كل ده ليه يعني؟

- عشان أجيب فلوس مش أكتر، أنا تعبت والله من كل ده بس أنتي عارفة.

فردت عليه وهي تبكي وقالت:

- أنا عاوزة صبري يعيش أرجوك.

- هيعيش بإذن الله هيعيش.

- حتى لو احتاج دم اِديله دم، اِتبرعله، اِعمل أي حاجة أرجوك.

- حاضر.

ليختفي هذا المشهد ويأتي مشهد آخر وأنا في جنازة، وكان هذان الشخصان يبكيان بشدة وبحرقة وقالت السيدة:

- أنا مش قادرة بجد، مش هقدر أكمل، أنا عاوزة نتطلق.

فرد عليها الرجل وهو مصدوم وقال:

- ليه؟ أنا عملت إيه؟

- ما عملتش، بس أنا مش قادرة أكمل معاك أكتر من كده بعد اللي حصل، وأنا ما بقيتش عاوزة أفضل مع راجل غريب بالشكل ده زيك.

- غريب؟

- آه غريب، مش شايف الناس بتبصلك إزاي كل مرة ببقى معاك فيها بسبب الزفت اللي فيك ده؟

- أنتي بتزعقي في جنازة يونس؟

- يا شيخ روح بقى، روح اطلع برا حياتي خلاص خلاص.

لترحل وتتركه فيجثو على الأرض باكيًا.

والآن يختفي كل هذا ليظهر مشهد آخر، ولكن في مكتب ما وهذا الرجل أمامه ورقة وقلم ويجلس بجانبه رجل آخر يتحدث معه ويقول له:

- موافق على القرار ده؟

- أيوه.

- كويس أوي اتفضل وقع على العقد ده.

- ماشي.

وقام بالفعل بالتوقيع على هذه الورقة.

لينتهي أيضًا هذا المشهد، ولكن لماذا يُريني ياسين كل تلك الذكريات وهي خاصة بمَن؟ إنها ليست خاصة بي حتى، ولكن الآن يأتي مشهد آخر له وهو يرتدي بالطو أبيض ويدخل لمكان يُشبه غرفة العمليات ليتجه للمريض وكان هُناك على كرسي يجلس شخصُ ما وقال هذا الرجل للمُمرضين:

– شغلوه وزودوا الموضوع أكتر.

لأسمع صوتَ صُراخ يصدر من هذا الشخص وهو يتألم بشدة ويتوسل لهم بأن يتوقفوا، ولكنهم لا يستمعون له على الإطلاق ليختفي كل شيء ويأتي ياسين من خلفي ويقول لي كلمة واحدة:

– يونس.

ويختفي ياسين وأستيقظ أنا بعد كل هذا وكانت الساعة التاسعة مساءً، كيف لي أن أنام كل هذا الوقت حتى؟ فاتصلتْ هُدى وأجبتُ وقالت لي وهي في قمة الرعب:

– أنا اتصلت بيك مليون مرة وأنت مبتردش أنا خلاص كنت هجيلك وقُلت لا قدر الله جرالك حاجة!!

– أنا كنت نايم.

– نايم؟ بجد فعلًا يا ياسين ده وقت مُناسب للنوم تصدق اتبقى ساعتين وأنت نايم؟

– بالراحة بالراحة شوية، أنا شوفت حاجات كتيرة غريبة، أنا هاجي آخدك دلوقتي ونتكلم في الطريق.

– هدى بقولك.

– أيوه؟

– خدي بنزين أو أي حاجة معاكي وأنا هجيب ولاعة ولا أيًّا كان.

- أنت ناوي على إيه؟

قلتُ لها: إنني أنوي التخلص من كل شيء،التخلص من المكان الذي بدأت فيه كل الأحداث المؤلمة والتي بسببها عانى منها الكثيرون.

١١
"مُستشفى"

قابلتُ هدى بالفعل وأخبرتها بكل الأشياء التي رأيتها وأبدت علامات تعجب ولم تجد إجابة لكل ما رأيت، فتوجهنا خلف منزل محمد وقضينا ما يقارب ساعة نبحث عنها، ولكننا لم نجد شيئا على الإطلاق، لا يوجد أية بوابات ولا مُستشفى ولا أي شيء فقلتُ لهدى:

- وبعدين بقى احنا بقالنا كتير بنلف.

- ياسين والله ورّاني البوابة وكان مكتوب القاهرة.

- يا يوسف ماشي شكل البوابة إيه؟ احنا مش شايفين حاجة في الضلمة دي.

- لونها أبيض ومحفور عليها اسم عبد العزيز وكل ده باللون الأسود.

- طب تعالى نكمل لقدام يمكن نلاقيها.

استكملنا تلك الرحلة المُريبة لنتوقف في منطقة معزولة تمامًا ومحظورة أمام بوابة ضخمة حرفيًا، ولكن اللوحة التي بجانبها غير موجودة رُبما تم انتزاعها وخلفها مبنى واحد ضخم جدا يتكون من ستة طوابق.

صراحة قبل دخولنا للمُستشفى أنا وهُدى شعرنا نحنُ الاثنان ليس

بصُداع هذه المرة بل بوغز شديد في رأسنا لا نعلم سببه على الإطلاق، ولكنه يؤلم فنظرنا إلى بعضنا البعض وقالت لي هُدى:

- هنخرج من هِنا مش كده؟

- هنخرج بس المرة دي واحنا جايبين حق نوح.

كسرنا البوابة الحديدية تلك وتوجهنا للباب الرئيس للمُستشفى ودخلنا فكان المكان مُظلما تمامًا ومُخيفا حقًا، فسألتني هُدى عن الدكتور عبد العزيز إن كان من المُمكن أنه استفاق مُجددًا فكانت إجابتي بالرفض، فلقد فقد الوعي ليس إلا والحقنة تلك أتمنى فقط أن تؤثر عليه بطريقة مؤذية نوعًا ما، فأنا لا أريد أن أخوض معركة داخل تلك الهلاوس مُجددًا، فتوقفنا عند مقدمة المُستشفى وحقًا لقد كانت كبيرة بالفعل من الداخل وكشافاتِنا لا توضح المكان بأكمله، ولكنها حقًا ضخمة.

كان الدور الأرضي لا يحتوي سوى على غرفة استقبال فدخلناها لعلنا نجد أي شيء، ولكن كانت فارغة تمامًا ولا يوجد أية ملفات غريبة أو أي شيء مثل تلك الأشياء، خرجنا ولكن قبل صعودنا للدور الأول قلتُ لهدى بصوت خافت:

- حطي بنزين في كل حتة نعدي بيها ما تنسيش.

- حاضر.

توجهنا مُسرعين للدور الأول وكان يحتوي على ثلاث غرف فقط، وبالطبع ذهبنا لجميع تلك الغرف والتي كانت جميعها خالية من الأرقام،

وهذا يعني أننا لن نعرف أين الغرف الخاصة بنا، ولكن غرف الدور الأول كانت عبارة عن أدوات غريبة فدخلنا أول غُرفة واستحضرت في ذهني موقف الشخص الذي كان يصرُخ هذا وأمسك رأسي من شدة الألم فانتبهت هُدى وقالت لي:

– مالك مالك في إيه؟

– شوفت دلوقتي الشخص اللي كانوا بيعذبوه ده.

– ده مين؟

فأتى صوت شخص من خلفنا وقال:

– ده أنت يا ياسين.

وأخرج شيئا يُشبه بودرة من نوع ما من جيبه وقام بنفخها في وجوهنا لنسقط على الأرض فاقدين الوعي تمامًا، وبعد مُدة لا أعرف إن كانت طويلة أم قصيرة أستيقظُ أنا، ولكن هُدى ليست معي! وأنا مُقيد ولا أستطيع الحراك أبدًا وكيف أنا هُنا في غرفة عادية جدًا والمُستشفى كُلها مهجورة وخالية تمامًا فأتت همسات من خلفي قائلة:

– مين قالك إنها مهجورة؟

فالتفتُ حولي، ولكن لا يوجد أي شخص على الإطلاق فقلتُ بصوت عالٍ وغاضب:

–انسى إن حيلك السخيفة دي تنفع معايا تاني يا عبد العزيز، ولّا

أنت ناسي آخر مرة عملت فيك إيه؟

– ومين قالك إني عبد العزيز أصلًا؟

– إيه؟

فشعرتُ بكهربة شديدة في عقلي مُميتة حرفيًا فصرختُ من شدة الألم، وكان هذا الشخص يضحك بشدة وقال:

– إيه مبسوط؟

– أ، أنت عاوز إيه مني؟

– هعوز منك أنت إيه؟ أنا لو عليا كنت قتلتك من زمان بس للأسف أنت عندك حاجة مش عند أي حد، وأنا اللي مصبرني عليك هي الحاجة دي.

لم أكترث لكل الهُراء الذي كان يقوله، الآن حان وقت الهلاوس الشيقة والثعابين المُحببة لقلبي؛ لذلك حاولت الاقتراب من الحائط لأرتطم به بالعمد عدة مرات حتى أفقد الوعي، إنها طريقة غِريبة بعض الشيء، ولكن لا يوجد حل آخر وبعدما فقدت الوعي لم أَرَ أي شيء، فقط اختفى الصوت من حولي ولم أعد مُقيدًا مرة أخرى والغرفة فارغة، ولكنها تختفي شيئا فشيئا لأستيقظ هذه المرة في العالم الواقع في نفس الغرفة التي سقطنا فيها أنا وهُدى، ولكنها لا تستفيق أبدًا وأنا لا أعلم ماذا أفعل الآن، فركضتُ خارج الغرفة، توجهت للغرفة المجاورة وحدي، ولكنها تحتوي على كمية مهولة من الحُقن فأخذتُ العديد مِنها

ووضعتها في حقيبتي وعدتُ لهُدى مُجددًا وحقنتها بواحدة ولم تمر دقائق واستيقظت أخيرا فسألتها عن ماذا رأت، ولكن كان الرد غريبا فقالت لي: إنها كانت فاقدة للوعي وحسب فسألتني عن سبب سؤالي، ولكنني قلتُ لها:

– مفيش مفيش دلوقتي لازم نروح لباقي الأدوار.

– البنزين؟ البنزين فين يا ياسين؟

– فين يعني إيه ودتيه فين؟

– معرفش كان هِنا.

– أكيد عبد العزيز أخده.

فخرجنا مُسرعين من الغرفة وإذ فجأة تضيء الأنوار بأكملها في المُستشفى، ويأتي صوت يُغطي المُستشفى بأكملها يقول:

– امسكوهم.

لننظر حولنا وقد كانت المُستشفى وكأنها مفتوحة بالفعل ويوجد بها جميع المرضى فحاصرنا اثنان من الأشخاص، ولكن عيونهما مُغطاة وكانا فقط يُنفذان كلام هذا الشخص الذي كان صوته ليس صوت عبد العزيز على الإطلاق، مَن هذا الشخص؟

قلتُ لهدى:

– خدي الحقنة دي بسرعة واللي يقرب منك احقنيه بيها.

– إيه ده جبتهم منين؟

– مش وقته دلوقتي، شكلنا لِسّه ما صحيناش من البودرة اللي اترشت علينا دي.

فهجما علينا، ولكني تمكنت من ضرب أحدهما في وجهه فسقط على الأرض وقمتُ بحقنه بهذه الحُقنة، وكانت هدى تحاول مقاومة الآخر فذهبتُ لمساعدتها على الفور وقمتُ بحقنه أيضًا ليختفي كل هذا ونستيقظ في نفس الغرفة مُجددًا ونركض للخارج، ولكننا نسمع أصوات همسات في كل مكان من حولنا، ولكننا لا نعلم مصدرها فقلتُ لهُدى:

– ما تهتميش لكل ده، البنزين في آخر الدور أهو خلينا ناخده ونطلع فوق.

– ماشي يلا بسرعة بس.

ركضنا لآخر الطابق الأول وحصلنا على البنزين، ولكن قبل صعودنا للطابق الثاني دخلت غرفة الحُقن تلك وحصلت على المزيد والمزيد فهي مُفتاح الهروب من هنا، وأفسدت المُتبقي فقالت لي هُدى:

– ليه أخدت كل دول معاك؟

– هنحتاجهم أكيد، لولاهم ما كُناش عايشين لحد دلوقتي.

ركضنا بأقصى سرعة لدينا للطابق الثاني ولم يظهر أحد على الإطلاق ولم ننتبه لصوت الهمسات تِلك التي كانت حولنا، انتهينا من الطابق الثاني ووصلنا للطابق الثالث، ولكن هُدى توقفت فجأة وبدأت في

البُكاء فجأة فقلتُ لها:

- هُدى مش وقته عبد العزيز بيحاول يسيطر علينا بسبب الحقن دي مش وقته اللي أنتي بتعمليه ده.

- ياسين ركز كويس في الدور ده بعد إذنك، فنظرتُ أمامي لأرى ماذا تقصد هُدى، لتسقُط مني الحقيبة والمصباح من يدي، وأبدأ أنا في البُكاء، فكان هذا الطابق الخاص بي أنا ونوح وهُدى فكانت هُناك تلك الرسمة على الحائط التي رسمناهاَ سويًا في يوم من الأيام، أنا أتذكرها جيدًا الآن، توجهت نحو غُرفة نوح أنا وهُدى وأردنا البقاء فيها لبعض الوقت فوجهت هدى المصباح حول غرفة نوح وكانت تتفقدها بعناية وهي تبكي بحرقة شديدة وقالت لي:

- ياسين، أنا فاكرة كل حاجة يا ياسين أنا فاكرة بجد كل حاجة حصلت معاكو.

فنظرتُ لها نظرة وابتسمت وقلت:

- أنا كمان فاكر كل حاجة حصلت مع نوح يا هُدى.

- احنا كنا قريبين أوي من بعض كده؟

- أيوه، فاكرة لما نوح غاب فترة كبيرة وجه زعلان واحنا قعدنا كتير نهدّي فيه ونتكلم معاه.

فابتسمتُ، ولكن انقلبت هذه الابتسامة صدمة فقلتُ لهُدى:

- نوح كان معاه نوتة دهبي صح؟

- أ، يا نهار أسود!

- إيه علاقة نوح بمحمد؟

- وأنا هعرف منين؟

فتذكرتُ شيئا مُهما فقلتُ لهُدى:

- دوّري معايا على أي ورقة بسرعة مقطوعة.

وبالفعل عثرنا عليها في نفس المكان الذي عثرتُ فيه أنا على النوتة الذهبية وكان مكتوبًا فيها:

"أنا نوح أخو محمد بس من أم تانية، للأسف لِسّه عارف كل ده النهارده بعد ما محمد مشي من هنا، أنا ما قتلتش بابا ولا حاجة وبابا ماماتش في حادثة برضو، بابا يبقى الدكتور عزيز، أنا طول عمري مع بابا، بابا ضحك على ماما وفهمها إني اتوفّيت وعمل جنازة كمان، لو على محمد فهو سابه هو وأمه وأخدني معاه أمريكا عشان بس يستغلني لما عرف اللي عندي؛ أنا ربنا خلقني كده أي حد بيحتاج دم وياخد مني بفضل ربنا ثُم الدم بتاعي بيتعالج ويبقى أحسن من الأول، بابا كان فاكرني مجرد تجربة مش ابنه، كان بس عاوز يوصل للي هو عاوزه، محمد أنت لو بتقرأ كل ده أرجوك اخلص منه بأي شكل أنا عارف إنك كنت في المُستشفى وجالك سرطان وبتتعالج منه دلوقتي، بس أرجوك اتصرف وأنا آسف نيابة عن كل اللي هو عمله".

فقلتُ لهُدى:

- عشان كده والدة محمد قالتلي إنها ما قابلتش عبد العزيز ده ولا مرة.

- أنا مش قادرة أصدق إن محمد ونوح إخوات والله، إزاي كل ده بيحصل إزاي؟

- جبت آخري من اللي اسمه عبد العزيز ده بجد.

خرجنا من الغُرفة ووقفنا عند أول الطابق ونظرنا له وكأننا نودع أسوأ وأحلى ذكرياتنا التي سُلبت منا في يوم من الأيام، استجمع كلٌّ منا قواه وتوجهنا للطابق الرابع وكان فارغًا أيضًا ولم يحدث أي شيء حتى الهمسات توقفت بعد خروجنا من غرفة نوح، تذكرتُ قبل الاستكمال الغرفة التي كانت تحتوي على الملفات التي وضعتنا فيها إبتسام كانت في الطابق الرابع فدخلنا تلك الغرفة وكان هُناك فقط ملف لي ولهُدى ولإبتسام ولمحمد ونوح، كان كل ملف منها يحتوي على أعراضنا كُلها واكتشفنا أنا وهُدى أن اسم إبتسام الحقيقي كان سُعاد، ولكنها كانت ضحية من ضحايا عبد العزيز والتي قُتلت بلا سبب على الإطلاق.

تمالكنا أنفسنا حتى وصلنا للطابق الخامس وكان هُناك رجل ما يقف في نهايته وينظر تجاهنا، ولكننا توقفنا تمامًا واقترب منا وكان الدكتور عبد العزيز، ولكنه كان ينظر لنا نظرات مليئة بالحزن وبدأ يذرف قطرات من الدموع على الأرض وقال لنا:

– طولتوا أوي تحت، أكيد لقيتوا الورقة مش كده؟ عرفتوا حقيقتي خلاص؟ عرفتوا إجابات لكل حاجة بتحصل؟ عرفتوا مين قتل محمد ونوح وإبتسام؟

فوقفت هُدى خلفي ورددتُ عليه أنا وقلتُ له:

– طالما أنت واقف بتعيط قُدامنا كده عملت كل ده ليه من الأول؟ ليه أذيت كل الناس دي طالما هتندم في الآخر؟

– غلطت، كل واحد فينا بيغلط عادي.

– لا مش كل واحد بيغلط عادي، لازم تندم على كل اللي أنت بتعمله ده.

فتغيرت ملامحهُ وتغير لون عينيه للأسود وبدأت تعود دقات الساعات مُجددًا وبدأ يتحرك باتجاهنا فقلتُ لهُدى:

– بسرعة بسرعة كُبّي عليه بنزين بسرعة.

– ما ينفعش ما ينفعش كده؛ احنا هنتحبس جوا، أنت نسيت إننا حاطين بنزين في المُستشفى كلها؟

– خلاص يبقى اجري بسرعة على فوق.

وركضنا لأعلى للطابق السادس والأخير، ولكننا لم نكن متوقعين تمامًا ما سنواجهه في هذا الطابق تحديدًا؛ فقد كان الطابق هذا يحتوي على غُرفة واحدة في مُنتصفه فركضنا إليها مُسرعين، ولكن بداخلها كان

هُناك مئات من الجُثث الحديثة والمُتحللة وأيضًا هياكل عظمية لم نستطع تحمل الرائحة أبدًا وخرجنا، وكان باب السطح مُغلقًا وقد وصل لنا الدكتور عبد العزيز وهو يخطو بخطوات بطيئة جِدًا فتوقفنا عند الحائط واستندنا عليه وقال لنا بهيئته المُرعبة تِلك:

– إيه دلوقتي؟ مش عارفين تعملوا حاجة صح؟

– لا حُقن هتنفعكو ولا نار هتخليكو عايشين، مصيركو هيكون في الأوضة الجميلة دي مع كل حبايبكو وأنا هعرف أخفي نفسي كويس عن كل الناس.

ففكرتُ في فِكرة غبية نوعًا ما ولكني أُفضلها عن الموت بهذه الطريقة وعلى يد هذا المجنون فأخرجتُ حُقنتين من حقيبتي ووضعتها في جيبي دون مُلاحظته وقلتُ لهُدى:

– دة مش الدكتور عزيز وبيتلاعب بعقولنا تاني لازم أحاول أديله الحقنة دي وبعدها هناخدها أنا وأنتي وندخل للعالم المتخلف بتاعه ده.

– لا يا ياسين بقى.

– مفيش حل غير ده هنواجهه بنفس طريقته بالظبط وأنا هزمته مرة مش هعرف أهزمه التانية يعني.

– يا رب

– اقفي بس ورايا وأنا هتصرف ولما أطرقع صوابعي ناخد الحُقنة علطول.

– ماشي.

فقلتُ له:

– استنى طيب، أنا هستسلم بجد.

وألقيتُ بالحقيبة بعيدًا عني فاقترب أكثر فأكثر حتى كاد يصل لنا ووقف وقال:

– اتفضل تعالى وبنفسك زي ما قُلت.

فرفعت يدي في الهواء واقتربت منه ببُطء شديد وهُدى الذكية لتُزين الموقف أكثر قامت بالبُكاء والصُراخ لتشتيته وأنا أقترب منه بخُطى خفيفة جدًا حتى جاءت اللحظة الحاسمة.

١٢
"هزيمة"

حدث ما هو غير متوقع، كلنا سمعنا أصوات ضجيج صادرة من الأسفل، ولكن كيف؟ مَن هُنا غيرنا؟ ولكني لم أهتم الآن يجب الالتزام بالخطة المُتفق عليها وحسب، التفت الدكتور عبد العزيز للوراء ليرى ما يحدث وسرعان ما التقطت الحُقنة من جيبي ووضعتها في رقبته ليسقط على الأرض بعدها فأعطيت الإشارة لهُدى حتى سقطنا نحنُ الاثنان على الأرض لنسترجع الوعي مُجددًا في نفس المكان، ولكن لا وجود للدكتور عبد العزيز فقلتُ لهُدى:

– مش قُلتلك ما كانش حقيقي يلا ننزل بسرعة جري على تحت لازم نخرج دلوقتي حالًا.

وأثناء نزولنا على السلالم تختفي السلالم بالمُستشفى بالطوابق بالغُرف بكل شيء لننظر خلفنا ونجد الدكتور عبد العزيز حاملًا بيديه جهازا غريبا لم أره من قبل ولا حتى هو قام باستخدامهُ معنا من قبل في تجاربه، ولكنه كان على شكل أنبوب طويل في نهايته كيس دم كبير وكان هذا الأنبوب موصلا بوريده، كان يرتعش ولا أعلم بسبب ماذا وقال لنا:

– لقد سئمتُ منكم حقًا ومن أفعالكم القذرة تلك، أنتُم مُجرد حُثالة

ومسوخ لا تُريدونني أن أحصل على ما أُريد بهدوء.

فعقبتُ على كلامه وقلتُ باستعجاب:

- نعم؟ أنت مين وبتتكلم بالفُصحى ليه؟

- لا تُقاطعني أيها الأخرق.

- أخرق؟

فنظرت لي هُدى وقالت:

- ياسين، ده مُصاب بفُصام في الشخصية. الدكتور عبد العزيز مريض نفسي يمكن أسوأ منا كمان.

- أنتي عرفتي منين كل ده؟

- أنا لِسّه فاكرة لما روحلته مرة كان في ملف محطوط عليه اسمه وكان مكتوب كده.

- لحظة، الدكتور عبد العزيز عبارة عن نموذج حي للمشروع!

- يعني إيه؟

- الدكتور عبد العزيز مش هو اللي عمل كل ده.

- إيه؟!

فنظر لنا الدكتور عبد العزيز في غضب وقال:

- أتمنى أنت تكونوا استمتعتم بالحديث في هذه الحماقات، الآن

ستموتون مع زملائكم السابقين.

أطلق من يديه ثعابين كثيرة صغيرة، ولكننا ركضنا وقلتُ لهُدى أن تُركز جيدًا على إخراج ثعابين أو التفكير في أي شيء مثل هذا القبيل، ولكنها قالت لي وهي خائفة:

- أنا أعمل ده إزاي؟ كل ده مش منطقي يا ياسين مش عارفة.

- ركزي يا هُدى ركزي.

- أركز وأنا بجري؟

- آه، يبقى كده هنضطر نخاطر بحياتنا احنا الاتنين ونتلفت ونقف.

- ده قبل ما نعمل حاجة هنكون خلاص.

- لازم، جاهزة؟

- لا بس ماشي.

التفتنا سريعًا وصرخنا بصوت عالٍ في وجوه تلك الثعابين التي لم تكن موجودة من الأساس ففتحنا أَعيننا بعدها، ولكن لم نجد أي شيء ولا ثعابين تُلاحقنا ولا ثعابين تخرج منا حتى فأصبحنا نلتفت في كل الاتجاهات ولا نرى شيئا على الإطلاق سوى أننا ما زلنا عالقين في المُستشفى تلك وبدون أبواب وبدون مخرج فقط، محاصرون داخل هذا العالم المليء بالهلاوس فقلتُ لهُدى:

- احنا طوّلنا أوي لازم نتصرف.

- في حاجة احنا لِسّه مش عارفينها يا ياسين ولو عرفناها هنعرف نُخرج من هنا.

- إيه هي؟

- مش عارفة بس الدكتور عبد العزيز حد بيتحكم فيه.

- إزاي؟

- أعتقد كيس الدم اللي في وريده هو السبب.

- الوحيد اللي جاب سيرة دم هو نوح مش حد تاني.

- يعني ده دم نوح اللي ليه قدرة إنه يخفف أي حاجة؟

- معرفش أكيد.

عاد صوت دقات الساعات المُتكرر هذا ولا نعلم ما الذي يجب علينا فعله الآن وإذ فجأة أشعر بألم شديد في يدي اليُمنى وكانت تلك عضة ثُعبان فنظرتُ أمامي لأجد الدكتور عبد العزيز أمامنا فقلتُ لهُدى:

- اِجري بسرعة اِجري.

- ياسين أنت بتنزل دم يا ياسين!

- اجري مفيش وقت، ولكن حاصرتنا الثعابين من كل اتجاه والتفّت حولنا كما في السابق حتى كِدنا نختنق مُجددًا فقال لنا:

- أعتقد أننا استمتعنا كثيرًا بتلك المُطاردة السخيفة أليس كذلك؟ وأخيرًا حانت اللحظة التي انتظرتُ من أجلها كثيرًا.

وأخرج ساعة رملية، ولكنها كانت فارغة تمامًا لا يوجد بها أي رمال على الإطلاق وقال:

- تلك هي الساعة التي يجب أن تجمع الثلاثة معًا، إنها ساعة الموت.

شعرنا أنا وهدى بعدها بألم شديد في كل أجزاءالجسم وابتعدت عنا الثعابين وحررتنا لنقع على الأرض، ولكن هذه المرة غير قادرين على الحركة إطلاقًا فاقترب منا وقال لنا:

- تشعرون بقوتها أليس كذلك؟ أنا أيضًا لا أستطيع الانتظار لدمج دمائكم معًا لأصبح أول شخص قادر على السيطرة على البشر بفضل مشروعي الخاص والحُقن التي لا مثيل لها، وأيضًا بفضلكم أنتم وبفضل توافر كل الشروط فيكم وقدراتكم الرائعة.

فقلتُ له بصعوبة شديدة في الكلام:

- قدُرات؟ قُدرات إيه؟

- حسنًا حسنًا أعتقد أنه الوقت المُلائم للشرح فأنتُم على وشك الموت الآن، أنت كنتَ من النوع الفضولي والمُبدع وهي كانت من النوع الذكي جدًا وأخيرًا وليس آخرا نوح الذي كان ذا قدُرات غريبة، حتى الآن أنا عَاجز عن فهمها، ألم تستوعب بعدُ؟ ثلاثة غُرباء، بقصص مُختلفة تمامًا، بأحداث مؤلمة، بطِباع مختلفة وقدرات خاصة، عندما تجتمع دماؤهم داخل هذه الساعة سأتحرر أنا من هذا الجسد لأعود لجسدي مُجددًا الذي سلبوه مني ووضعوني داخل هذا الأخرق.

- أنت إزاي جواه؟

فضحك ساخرًا وقال:

- أنا لستُ بداخل أحد، أنا داخل عقولكم جميعًا أراكم ولا ترونني على الإطلاق، أنا أُراقب كل شيء من بعيد، أتتذكر تلك العبارة؟ لا أود أن أُظهر نفسي الآن حتى أعود كما كنت كالسابق.

- أنا لِسّه مش فاهم حاجة ومش عارف أنت مين؟

- رُبما تعرف لاحقًا كل شيء وبوضوح تام أكثر من ذلك، فقط كل ما أريده منكم هو الاسترخاء التام.

فاقترب مِنا وأخرج حُقنة وسحب بضع الدماء مني وبعض الدماء مِن هُدى وأَزال الأنبوب من وريده وقال لنا:

- أنا جيت تاني أتمنى تكونوا استمتعتوا في الكلام معاه دلوقتي نبدأ العرض بتاعنا.

- وضع داخل الساعة بضع قطرات من دم نوح ودمي ودم هُدى وقال:

- أخيرًا هرجع أسمع دقات الساعات تاني من الأول.

فاتسعت عيناي وتذكرت كل دقات الساعات التي كنتُ أسمعها سابقًا والساعة السادسة حيث توفى نوح، كانت كلها علامات ليرشدني لكل شيء ليجعلني أرى الحقيقة كاملة، السر كله كان في هذه الساعة التي

تجمع دماءنا سويًا في الشر، ولكننا دائمًا ما اجتمعنا في أوقات السعادة، كُنا غُرباء؛ لأننا كُنا لا شيء بالنسبة لأي شخص على الإطلاق، كُنا بلا أصدقاء أبدًا وتخلى عنا الجميع، كُنا في نظر الجميع كذلك دومًا؛ كُنا نحنُ كل شيء لبعضنا البعض حتى إننا قضينا جميع الأوقات الجميلة معًا، كُنا أكثر الأشخاص حرصًا على بعضنا البعض، كُنا نرفض رؤية المُعاناة لأي شخص، كان كل هذا بسبب العوامل الخارجية المؤذية في مُجتمعنا من تنمّر أو مُضايقات أو أي شيء يجعلنا نشعُر فعلًا بأننا غُرباء بينكم، أنتم من جعلتم كل هذا يحدث لو لم تفعلوا هذه الأمور لاستمر الثلاثة الغُرباء للأبد دون فُقدان نوح، فعلًا كُنا نحنُ الثلاثة مُختلفين تمامًا في قصتنا وحكايتنا، ولكن التشابه الوحيد كان في شيء واحد فقط، شيء واحد فقط.

استجمعتُ أنا وهدى قوانا ووقفنا بكل قوة وقلنا في نَفَس واحد:

- الحاجة الوحيدة اللي احنا كُنا متشابهين فيها هو النقاء واحنا مش هنسمح إنك تستخدم الدم ده في الشر أبدًا.

فغضب دكتور عبد العزيز بشدة ووجّه الثعابين نحونا مُجددًا وبكثرة، ولكني سرعان ما أمسكت بيد هُدى بقوة وأغمضنا أعيننا ليخرج ثُعبان عملاق جدًا وأصدر فحيحًا قويًا وانقضّ على عبد العزيز والتهمه لتسقط الساعة من يده وتختفي الثعابين، وبعدها فتحنا أعيُننا ونظرنا لأعلى لنجد الثُعبان يتلوّى يمينًا ويسارًا في الهواء ويتلاشى بعد ذلك، حصلنا على الساعة ووضعنا يدنا عليها ونظرتُ لهُدى وأنا أبكي:

- مِن أجل نوح.

- مِن أجل نوح.

فرأينا يدا ثالثة تم وضعها على الساعة وكان نوح واقفًا في المُنتصف ونظر إلينا وابتسم وقال:

- مِن أجلنا نحنُ، مِن أجل الغُرباء الثلاثة.

وألقيناها على الأرض بقوة لتتحطم تمامًا، وبدأ نوح يختفي شيئا فشيئا ولوّح لنا بيده وقال وهو يبكي:

- هتوحشوني أوي بجد، شكرًا ليكو على كل حاجة، مع السلامة.

واختفى كل شيء واختفى هذا المكان الملعون لتكون تلك آخر مرة نرى فيها هذه الهلاوس الغبية، خرجنا من المُستشفى وألقيتُ بعود الثقاب المُشتعل على الأرض لتحترق تلك المُستشفى بالكامل، خرجنا من البوابة، ولكننا لم نُغادر قط بل جلسنا ننظر إليها وهي تحترق وقالت لي هُدى والدموع في عينيها:

- أنا زعلانة أوي يا ياسين.

- أهم حاجة إن نوح كان معانا وهيفضل معانا يا هُدى، حتى لو محدش افتكره احنا هنفتكره دايماً، وهيفضل حاضر وسطنا.

في اليوم التالي تحدثت جميع الأخباروالصُحف عن اندلاع حريق مُفاجئ في مُسشتفى قديمة للأمراض النفسية والسبب مجهول، ولكني

بكل بساطة قررتُ كتابة كل ما حدث وسرده، ولكن ليس في مقال هذه المرة بل على موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك"، وبعد الانتهاء من الكتابة كتبتُ الطلب الذي طلبه ياسين مِني سابقًا؛ فقد طلب مِني أن أنشر رسالة في آخر القصة بعد الانتهاء من سرد حقيقة دكتور عبد العزيز وجميع الذين ماتوا، ولكن بأسلوبي فكتبتها وكانت الرسالة كالآتي: "أنا أدعى ياسين أحمد، صراحةً الفترة السابقة عانيتُ من أمور كارثية، ولكن الآن بعد انتهاء كل شيء أودُ فقط أن أقول إنه لا وجود لأي شخص في الحياه يستحق أن يُعاني بسبب شخص آخر أو يتحمل قسوة شخص آخر أو حتى يُجبر نفسه على البقاء مع أشخاص مُؤذين، أشعُر بكم وأعلم أننا سنكون مَن أغرقنا السفينة في النهاية، ولكننا كُنا نحاول جاهدين المُساعدة، نعم ستنقلب الآية بالكامل وسننهزم بالنهاية، ولكن لا توجد مُشكلة في البدء مرة أخرى، أليس كذلك؟ لا أُحب أن أكون الشرير في قصة أحدهم، ولكني في يوم من الأيام كنتُ كذلك لسبب لا أعلمهُ حتى الآن، لقد جعلوني الشيطان بالأخير وهُم جميعًا أصبحوا الملائكة، للأسف لقد تمكنوا مني، ولكن لولا حدوث كل ذلك لـما كنتُ جالسًا الآن وأكتب كل هذا لأكشف الحقيقة، الحقيقة التي يتم الهروب منها دائما وعدم النظر إليها، الحقيقة هي أنني أنا ومن هُم مِثلي المُعرّضون دائمًا للنقد والاستغلال والتخلي بدون أسباب، يجب أن نكون أكثر قوة من كل هذا، لا وجود للأدوية ولا الأجهزة التي تعبث بالعقل، فأنا أصبتُ بفقدان ذاكرة جُزئي بسبب كل هذا، نسيتُ في يوم من الأيام أنني كنتُ أملك صديقين اثنين؛ أحدهما تُوفي الآن

وليس معنا هُنا في عالمنا، ولكنني أشعر به والصديقة الأخرى عانت أيضًا مثلي ومثلكم ومثل مَن هُم يعانون بسبب كل تلك الأحداث على يد الشياطين، لذلك احرصوا على ألا تسمحوا لأنفسكم أن تتعرضوا لكل هذا في سبيل إسعاد الآخرين، لا أريد رؤية المزيد من الجُثث بسبب الأذى النفسي والعصبي الذي يُسببه بعض الأشخاص للملائكة، لا أُريد رؤية أي إنسان يُعاني مُجددًا بسبب كل هذا، أتمنى أن تتقبلوا تلك النصيحة وتعملوا بها جيدًا وبالنسبة لي أنا فأعتقد أنني نلتُ منهم من جميع الشياطين وتخلصت منهم، أولهم هو عبد العزيز".

نشرت كلَّ هذا وسرعان ما حظي بتفاعل كبير جدًا، ولم تمرُ سوى بضع دقائق وأرى الأستاذ إيهاب يتصل ويقول لي:

- إيه كل ده بجد؟ أنت عارف أنت عملت إيه دلوقتي؟

فضحكتُ وقلت:

- عملت إيه بقى؟

- أنت كشفت واحد من الأسرار اللي كانت مخفية لسنين، أنت لازم من بكرة ترجع الشغل وكمان هرقّيك، وبصراحة أنا آسف لو كنت ضايقتك.

- أنا كده كده كنت هرجع الشغل، وأكيد محصلش حاجة يا أستاذ إيهاب.

- قبل ما أقفل أقولك حاجة أخيرة.

- اتفضل.

- فضولك طلع بيجيب نتايج حلوة يا ياسين مش يوسف.

- آه وكوارث حلوة برضو.

ضحك كلانا وبعد الانتهاء معه اتصلتُ بهُدى وقلتُ لها:

- عاملة إيه؟

- مش قادرة أنسى اللي حصل، بس بحاول أعيش عادي، ماما عيطت جامد لما حكيتلها إني افتكرت كل حاجة وعرفتْ أنا مين.

- خلاص بقى يا هُدى انسي كل ده انسيه.

تنهدت هُدى وقالت لي:

- حاضر، ومبروك على المقال الجديد، ده أنت مكسر الدنيا وكل الناس أخدت البوست بتاعك وبدأت تتكلم عليه.

- يااه بالسرعة دي كده؟

- آه طبعًا أنت ما شوفتش ولّا إيه؟

- أنا نزّلت البوست من هِنا وقفلت نت خالص قُلت أكلمك قبل ما أنام؛ لأني هنام يمكن لتاني يوم الصبح؛ لأني حقيقي تعبان أوي والله.

- أنا كمان محتاجة أنام والله وأتمنى ما نصحاش الساعة ستة.

ضحك كلانا والآن حان وقت النوم، ولكنني وضعت المُنبه على

الساعة السابعة هذه المرة وتمنيتُ ألا أرى أشياء أخرى وأحلاما مُرعبة ومزعجة. تناولت المُهدئ وغصتُ في نومٍ عميق لأستيقظ فعلًا الساعة السابعة وبدون كوابيس ولأول مرة منذٌ مدة طوية أشعر وكأنني في كامل صحتي وقوتي.

ذهبتُ لأستعد للذهاب إلى العمل، ولكن دقّ جرس الباب فجأة وفي هذا التوقيت الغريب لأرى صندوقًا صغيرًا مصنوعا من الكارتون وعليه ورقة صغيرة، فتحتُ الصندوق لأجد ساعة رملية فارغة، بسرعة أسقطتُها من يدي وقرأت الورقة وكان مكتوبًا فيها:

"أنت لم تتخلص مني بعد".

تمت